جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

مُعاهدات الصلح والسَّلام بين سلاجقة الروم والبيزنطيِّين خلال الفترة (٤٧٤-٥٧٢هـ/١٠٨١-١١٧٦م)

Peace And Peace Treaties Between The Seljuks Of Rum And The Byzantines During The Period (474-572 Ah / 1081-1176 Ad)

إعداد
د./ فهمي عبد الغني محمَّد حسنين المصري.
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلاميَّة المُساعد بكليَّة اللغة العربيَّة،
جامعة الأزهر، القاهرة ، مصر.

(العدد الثالث والأربعون)
(الإصدار الرابع-نوفمبر)
(الجزء الثالث (١٤٤٦هـ /٢٠٢٤م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٤/٦٢٧١م

مُعاهدات الصلح والسَّلام بين سلاجقة الروم والبيزنطيِّين خلال الفترة (٤٧٤-٥٧٢هـ/١٠٨١-١١٧٦م)

فهمي عبد الغني محمَّد حسنين المصري .

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلاميَّة المُساعد بكليَّة اللغة العربيَّة ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، مصر.

البريد الإلكتروني : *fahmyelmasry@azhar.edu.eg*

الملخص

الهدفُ من الدِّراسة رغبةُ الباحث في إبراز هذه المُعاهدات والظروف الدَّاعية إليها وما ترتَّب عليها من استفادة الطرفين أو كليهما معًا، وقد اقتصرت حدود الدِّراسة على الفترة الزمنيَّة (٤٧٤ـــ٥٧٢هـ/١٠٨١ـــ١١٧٦م)؛ حيثُ تمثِّل هذه الفترة منذ قيام دولة سلاجقة الروم وحتى وقوع معركة ميريوكيفالون الحاسمة عام (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م) والتي انتهت بانتصار السَّلاجقة على البيزنطيِّين، وقد اعتمد الباحثُ على المنهج التحليليِّ المُعتمِد على جَمْع المادَّة العلميَّة وتحليلها، ثم استخلاص النتائج، كما اعتمد على مجموعةٍ من المصادر والمراجع العربيَّة التي تطرَّقت لموضوع البحث، بعضها ذو فائدةٍ كبيرةٍ لا يُمكن الاستغناءُ عنها، وبعضُها ذو فائدةٍ ثانويَّة.

الكلمات المفتاحية : مُعاهدات، الصلح، سلاجقة الروم، البيزنطيِّين .

Peace And Peace Treaties Between The Seljuks Of Rum And The Byzantines During The Period (*474-572 AH / 1081-1176 AD*)

Fahmy Abdel Ghani Muhammad Hassanein Al-Masry.

Assistant Professor of History and Islamic Civilization, Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University, Cairo, Egypt.

Email : *fahmyelmasry@azhar.edu.eg*

Abstract:

The aim of the study is the researcher's desire to highlight these treaties and the circumstances calling for them and the resulting benefits for both parties or both of them. The study was limited to the time period (474-572 AH / 1081-1176 AD), as this period represents the period from the establishment of the Seljuk state of Rum until the decisive Battle of Myriokephalon in the year (572 AH / 1176 AD), which ended with the victory of the Seljuks over the Byzantines. The researcher relied on the analytical method based on collecting and analyzing scientific material, then extracting the results. He also relied on a group of Arabic sources and references, some of which are of great benefit that cannot be dispensed with, and some of which are of secondary benefit.

Keywords: ***Treaties, Peace, Seljuk Of Rum, Byzantine.***

مقدِّمة

يدورُ موضوعُ هذا البحث حول مُعاهدات الصُّلْح والسَّلام التي تمَّت بين دولة سلاجقة الروم والدولة البيزنطيَّة خلال الفترة (٤٧٤-٥٧٢هـ/١٠٨١-١١٧٦م)، فقد تمَّ خلالها العديدُ من المُعاهدات التي جاءت بناءً على رغبة أحد الطرفين أو كليهما معًا؛ نظرًا لبعض الأخطار التي كانت تُحيط بأحدهما أو كليهما، وقد كانت هذه المُعاهدات فرصةً لالتقاط الأنفاس، ولمَّا كان هذا الموضوعُ من الأهمِّيَّة بمكانٍ، فقد أحببتُ أنْ أقومَ بدراسته، وقد تمثَّلت الدِّراسة في الآتي:

حدود الدِّراسة:

اقتصرتْ حدودُ الدِّراسة على الفترة الزمنيَّة (٤٧٤-٥٧٢هـ/١٠٨١-١١٧٦م)، حيث تُمثِّل هذه الفترةُ منذ قيام دولة سلاجقة الروم وحتى وقوع معركة ميريوكيفالون الحاسمة عام (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م) والتي انتهتْ بانتصار السَّلاجقة على البيزنطيِّين، وقضتْ على أحلامهم بطَرْد الأتراك من آسيا الصغرى.

أهداف الدِّراسة:

- إبرازُ هذه المُعاهدات والظروف التي دعتْ إليها لأحد الطرفين أو كليهما.
- إظهارُ ما ترتَّب على هذه المُعاهدات من آثار.
- إبرازُ مدى استفادة أحد الطرفين أو كليهما من توقيع هذه المُعاهدات.

منهج الدِّراسة:

اعتَمد الباحثُ على المنهج التحليليِّ المُعتمِد على جَمْع المادة العلميَّة وتحليلها، ثم استخلاص النتائج، كما اعتَمد على مجموعةٍ من المصادر والمراجع العربيَّة؛ بعضُها ذو فائدةٍ كبيرةٍ لا يُمكن الاستغناءُ عنها، وبعضُها ذو فائدةٍ ثانويَّة.

الدِّراسات السَّابقة:

على حدِّ علمي ليست هناك دراسةٌ مُستقلَّةٌ عن هذه المُعاهدات، وإنما جاء الحديثُ عنها من خلال بعض الدِّراسات العامَّة التي تحدَّثت عن دولة سلاجقة الروم

وعلاقاتها مع الدولة البيزنطيَّة، ومن هذه الدِّراسات الآتي:

– أحمد توني عبد اللطيف: الحياة السِّياسيَّة ومظاهر الحضارة في دولة سلاجقة الروم، رسالة دكتوراة بكليَّة الآداب جامعة المنيا عام ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، وقد اعتمدتُ عليها في تحديد هذه المُعاهدات.

– محمَّد سهيل طقوش: تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، وقد ذَكر هذا الكتاب بعضَ المُعاهدات باختصار.

– محمود سعيد عمران (ت١٤٣٦هـ/٢٠١٥): السِّياسة الشرقيَّة للإمبراطوريَّة البيزنطيَّة في عهد الإمبراطور مانويل كومنين ١١٤٣–١١٨٠م، وقد اعتمدتُ عليه خلال فترة البحث الخاصَّة بعهد الإمبراطور مانويل كومنين.

– فؤاد عبد الرحيم الدويكات: العلاقات العسكريَّة بين سلطنة سلاجقة الروم والإمبراطوريَّة البيزنطيَّة خلال المرحلة من (٤٦٣–٥٧٢هـ/١٠٧١–١١٧٦م)، بحثٌ مكوَّن من ٣٦ صفحة منشور بمجلة العلوم العربيَّة – جامعة الكويت، مجلد ٣٨، عدد ١٥٠، عام ٢٠٢٠م، تحدَّث فيه الباحث عن التعاوُن العسكريِّ بين سلطنة سلاجقة الروم والدولة البيزنطيَّة خلال هذه الفترة، وقد أشار إلى بعض المُعاهدات السلميَّة التي تمَّت بين الطرفَيْن باختصارٍ شديدٍ في صفحات ٥٢، ٥٣، ٦٣، ٦٤، ٦٥.

خطة الدِّراسة: وتشمل الآتي:

- **مقدِّمة**: وتشمل نبذةً مُختصرةً عن: عنوان البحث، ثم حدود الدِّراسة وأهدافها، ومنهج الدِّراسة والدِّراسات السَّابقة، ثم خطة البحث.

- **تمهيد**:

وبه شرحٌ لأهمِّ مُصطلحات عنوان البحث (المُعاهدات – الصلح ـ سلاجقة الروم – البيزنطيِّين).

- **الفصل الأول**: مُعاهدات الصلح خلال الفترة (٤٧٤–٥١٠هـ/١٠٨١–١١١٦م) وفيه مبحثان:

– **المبحث الأول**: مُعاهدات الصلح خلال الفترة (٤٧٤–٤٨٥هـ/١٠٨١–١٠٩٢م)

وتمثَّل فترة حكم كلٍّ من:

١- السلطان سليمان بن قتلمش(٤٧٤-٤٧٩هـ/١٠٨١-١٠٨٦م) وعُقدت فيه مُعاهدة عام (٤٧٤هـ/١٠٨١م)

٢- أبي القاسم (٤٧٩-٤٨٥هـ/١٠٨٦-١٠٩٢م) وعُقدت فيه مُعاهدة عام (٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م)

- **المبحث الثاني**: مُعاهدات الصلح خلال الفترة (٤٨٥-٥١٠هـ/١٠٩٢-١١١٦م) وتُمثَّل فترة حكم كلٍّ من:

١- السلطان قلج أرسلان الأول بن سليمان بن قتلمش (٤٨٥-٥٠٠هـ/١٠٩٢-١١٠٧م)، وعُقدت فيه مُعاهدة عام (٤٨٥هـ/١٠٩٢).

٢- السلطان ملكشاه بن قلج أرسلان الأول (٥٠٣-٥١٠هـ/١١٠٩-١١١٦م)، وعُقدت فيه مُعاهدة عام (٥١٠هـ/١١١٦م).

- **الفصل الثاني**: مُعاهدات الصلح خلال الفترة (٥١٠-٥٧٢هـ/١١١٦-١١٧٦م)، وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول**: المُعاهدات خلال الفترة (٥١٠-٥٥٠هـ/١١١٦-١١٥٥م) عصر السلطان مسعود بن قلج أرسلان، وقد عُقدت خلال هذه الفترة ثلاث مُعاهدات:

١- المُعاهدة الأولى: عام (٥٢٠هـ/١١٢٦م)

٢- المُعاهدة الثانية: عام (٥٢٩هـ/١١٣٤م)

٣- المُعاهدة الثالثة: عام (٥٤٢هـ/١١٤٧م)

- **المبحث الثاني**: المُعاهدات خلال الفترة (٥٥٠-٥٧٢هـ/١١٥٥-١١٧٦م) عصر السلطان قلج أرسلان الثاني، وقد عُقدت خلال هذه الفترة مُعاهدتان:

١- المُعاهدة الأولى: عام (٥٥٣هـ/١١٥٨م)

٢- المُعاهدة الثانية: عام (٥٥٧هـ/١١٦١م)

- **الخاتمة**.
- **قائمة المصادر والمراجع**.

تمهيد

شرحٌ لأهمِّ مُصطلحات عنوان البحث

(المُعاهدات - الصلح - سلاجقة الروم - الدولة البيزنطيَّة)

أولًا- تعريفُ المُعاهدات في اللغة والاصطلاح.

١- العهد في اللغة:

المُعاهدات: جمع. مُفرده مُعاهدة، وهي مأخوذةٌ من العَهْد، وتعني الوَصِيَّةَ والتقدُّمَ إلى صاحبِكَ بشيء. أمَّا التعاهُدُ: فهو الاحتفاظُ بالشيء، وإحداثُ العَهْدِ بِه، يُقال: عاهَدَه على كذا، وعاهدتُ الرجل مُعاهدةً، وأعْهَدْتُه: يعني أعْطَيْتُهُ عَهْدًا[١].

والمُعاهدة والاعْتِهادُ والتعاهُدُ والتَّعَهُّدُ بمعنًى وَاحِد، وَهُوَ إِحداثُ العَهْدِ بِمَا عَهِدْتَه. وَيُقَالُ لِلْمُحَافِظِ عَلَى العَهْدِ: مُتَعَهِّدٌ[٢].

والمُعَاهَدُ: هو الذِّمّيُّ؛ لأنَّهُ مُعَاهَدٌ ومُبايَعٌ على ما عليه من إعطاء الجِزْية والكفِّ عنه، وهُمْ أهْلُ العَهْدِ، فإذا أسْلم ذهب عنه اسمُ المُعاهَدِ[٣].

وتُطلَق المُعاهدة في اللغة على عدَّة معانٍ، منها:

---

(١) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو (ت ١٧٠هـ/٧٨٦م): كتاب العين: تحقيق/ عبد الحميد هنداوي ـ دار الكتب العلميَّة ـ بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، ج٣/ ص٢٤٤، ٢٤٥.

(٢) ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ، ج٣/ ص٣١٣.

(٣) الفراهيدي: كتاب العين: ج٣/ ص٢٤٥.

المُعاقدة[١] والمُوادعة[٢] والمُحالفة[٣] والمُواثقة (الميثاق)[٤] والوصيَّة[٥]. يُقَالُ: عَهِدَ إِلَيْهِ يَعْهَدُ مِنْ بَابِ تَعِبَ: إِذَا أَوْصَاهُ، وَفِي القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿أَلَم أَعهَد إِلَيكُم يَٰبَنِيٓ ءَادَم ٦٠﴾ [٦]، ويُطلَق العهد أيضًا على الوفاء والأمان[٧].

٢- العهد في الاصطلاح.

أمَّا تعريفُ العهد في الاصطلاح: فهو حفظُ الشَّيء ومُراعاته حالًا بعد حال. هذا أصلُه، ثمَّ استُخدم في الموثق الذي يلزمُ مُراعاتُه، وهو المُراد[٨].

ممَّا سبق يُمكن القولُ: إنَّ العهد هو ما تمَّ الاتِّفاق عليه من عقودٍ ومواثيقَ ومُحالفات ووصايا، ويجبُ الحفاظُ والوفاءُ بهذه العهود؛ مصداقًا لقوله تعالى:

---

(١) الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين (ت ٣٥٠هـ/٩٦١م): معجم ديوان الأدب: تحقيق/ أحمد مختار عمر، مُراجعة/ إبراهيم أنيس ـ مُؤسَّسة دار الشعب ـ القاهرة ـ ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج٢/ ص٣٨٣.

(٢) الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ/٩٣٣م): جمهرة اللغة: تحقيق/ رمزي منير بعلبكي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م، ج٢/ ص٦٦٨.

(٣) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي (ت نحو٧٧٠هـ/١٣٦٨م): المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: المكتبة العلميَّة ـ بيروت – لبنان، د. ط، ج٢/ ص٤٣٥.

(٤) الأزدي: جمهرة اللغة: ج١/ ص٤٣٠

(٥) الفيومي: المصباح المنير: ج٢/ ص٤٣٥.

(٦) سورة يس: من الآية ٦٠.

(٧) الأزدي: جمهرة اللغة: ج١/ ص٢٨٣.

(٨) الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م): المفردات في غريب القرآن: تحقيق/ صفوان عدنان الداودي، دار القلم ـ دمشق، الدار الشامية – بيروت، ص٥٩١؛ الجرجاني، علي بن محمد ابن علي (ت٨١٦هـ/١٤١٣م) التعريفات: تحقيق/ إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ص٢٠٤.

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾(١).

ثانياً: تعريف الصلح في اللغة والاصطلاح.

١- الصلح في اللغة.

الصُلْح: اسم من المُصالحة، وهو خلاف المُخاصمة، ومعناه السِّلْم، تقول: تصالَحَ الْقَوْمُ واصْطلَحوا وأصلحْتُ بَينهم وصالحْتُهم مُصالحةً وصِلاحًا(٢)، والصَّلاحُ: ضد الفساد. تقول: صلح الشيء يصلح صُلوحًا، والاسم الصُلْح يُذكَّر ويؤنَّث، تقول: وقد اصْطَلَحا وتصالَحا واصَّالحَا أيضًا مُشدَّدة الصَّاد(٣).

٢- الصلح في الاصطلاح.

تعدَّدت معاني الصلح في الاصطلاح بين الفقهاء ورجال القانون والسِّياسة على النَّحو التالي:

فعند الفقهاء الحنابلة يُطلق على: مُعاقدة يُتوصَّل بها إلى الإصلاح بين المُختلفين(٤).

---

(١) سورة النحل: من الآية ٩١.

(٢) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م): المخصص: تحقيق/ خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج٣، ص٣٧٩؛ ابن منظور: لسان العرب: ج٢/ ص٥١٧.

(٣) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ/١٠٠٢م): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيَّة: تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج١/ ص٣٨٣.

(٤) ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد الحنبلي (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م): المغني: تحقيق/ عبد الله عبد المحسن التركي، عبد الفتاح محمد الحلو، دار عالم الكتاب – الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ج٧/ ص٥.

وعند الحنفيَّة: هو عقدٌ يَرفع النِّزاع، ويَقْطَع الخصومة [١]، وعند المالكيَّة: هو انتقالٌ عن حقٍّ أو دعوى بعِوَض لرفع نزاع أو خوف وقوعه[٢]، وعند الشافعيَّة: هُوَ العقد الَّذِي يَنْقَطِع بِهِ خُصُومَة المُتخاصمين[٣].

وعليه؛ تدورُ تعريفاتُ الصلح عند الفقهاء حول رفع النِّزاع وإنهاء الخصومة بين مُتخاصمين أو مُتنازعين.

أمَّا تعريف الصلح عند بعض رجال القانون فهو: عقدٌ يَحسِمُ به الطرفان نزاعًا قائمًا أو يتوقَّيان به نزاعًا مُحتملًا؛ وذلك بأنْ ينزلَ كلٌّ منهما على وجه التقابُل عن جزءٍ من ادِّعائه[٤].

---

(١) ابن عابدين، محمد أمين، الشهير بابن عابدين (ت١٢٥٢هـ/١٨٣٦م): حاشية رد المحتار على الدر المختار: شرح تنوير الأبصار: مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، ج٥/ ص٦٢٨.

(٢) الرصاع، محمد بن قاسم الأنصاري، أبو عبد الله المالكي (ت ٨٩٤هـ/١٤٨٩م): الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية (المعروف بشرح حدود ابن عرفة): تحقيق/ محمد أبو الأجفان، الطاهر المعموري، دار الغرب ـ بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ص٤٢١.

(٣) الحصني، أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز بن معلى الحسيني (٨٢٩هـ/١٤٢٥م): كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار: تحقيق/ علي عبد الحميد، محمد وهبي سليمان، دار الخير – دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ص٢٦٠.

(٤) عبد الرزاق السنهوري (١٣٩١هـ/١٩٧١م): الوسيط في شرح القانون المدني: دار إحياء التراث ـ بيروت – لبنان، ج٥/ ص٥٠٧؛ أحمد معتوق الزائدي: أحكام الصلح وأثره في فضِّ النِّزاعات في الشريعة الإسلاميَّة والقانون الوضعي: بحث منشور بمجلة العلوم الإنسانيَّة ـ كلية الآداب ـ مدينة الخمس ـ جامعة المرقب – ليبيا، العدد ١٣، عام ٢٠١٦م، ص٦.

أمَّا تعريف الصلح عند رجال السِّياسة فهو: تركُ الحرب[١] على شروطٍ تُعرَف بشروط الصلح[٢].

أمَّا عن التعريف الاصطلاحيِّ لمُعاهدات الصلح أو المُعاهدات السلميَّة عند الفقهاء فهو على النَّحو التالي:

عرَّفها الأحناف: بأنها الصلح على ترك القتال مدَّةً سواءً أكانت بمالٍ أم بغير مال إذا رأى الإمامُ في ذلك مصلحةً[٣].

وعرَّفها المالكيَّة: بأنها عقدُ المُسلم مع الحربيِّ على المُسالمة مدَّةً ليس فيها تحت حكم الإسلام[٤].

---

(١) ابن منظور: لسان العرب: ج١٢/ ص٢٩٣.

(٢) علي رضينة: أحكام الصلح في الفقه الإسلاميِّ (دراسة فقهيَّة مُقارنة): رسالة ماجستير ــ كليَّة الشريعة والقانون ــ جامعة أم درمان الإسلاميَّة – السودان، ١٩٩٧م، ص٥.

(٣) السمرقندي، أبو بكر علاء الدين محمد بن أحمد (ت٥٣٩هـ/١١٤٥م): تحفة الفقهاء: دار الكتب العلميَّة ــ بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ج٣/ ص٢٩٧؛ الموصلي، عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي الحنفي (ت٦٨٣هـ/١٢٨٤م): الاختيار لتعليل المختار: مطبعة الحلبي – القاهرة، ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م، ج٤/ ص١٢٠؛ خميس عمر المصري: المُعاهدات السلميَّة في ضوء الواقع المُعاصر (دراسة فقهيَّة مُقارنة): رسالة ماجستير، كليَّة الشريعة والقانون ــ الجامعة الإسلاميَّة – غزَّة، ١٤١٦هـ/٢٠١٤م، ص٤.

(٤) المواق، محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري الغرناطي المالكي (ت٨٩٧هـ/١٤٩٢م): التاج التاج والإكليل لمختصر خليل: دار الكتب العلميَّة ــ بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٤م، ج٤/ ص٦٠٣؛ الرعيني، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد المالكي (ت٩٥٤هـ/١٥٤٧م): مواهب الجليل في شرح مختصر خليل: دار الفكر ــ بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج٣/ ص٣٦٠؛ خميس المصري: المُعاهدات السلميَّة في ضوء الواقع المعاصر، ص٥.

وعند الشافعيَّة: بأنها مُصالحة أهل الحرب على ترك القتال مدَّةً مُعيَّنةً بِعِوَضٍ أو بغير عِوَض سواء فيهم مَن يُقر على دينه ومن لم يُقر(١).

وعرَّفها الحنابلة: بأنها عقدُ الإمام أو نائبه على ترك القتال مع غير المُسلمين مدَّةً معلومةً بقدر الحاجة(٢).

وقد اتَّفقت هذه التَّعريفات على أنَّ المُعاهداتِ السلميَّةَ هي تركُ القتال مدَّةً مُعيَّنة، لكنها اختلفت في كونها بمالٍ أو غير مالٍ كما ذَكر الحنفيَّة والشافعيَّة، أمَّا المالكيَّةُ والحنابلةُ فلم يَذكروا ذلك، كما اشترط الحنفيَّةُ والحنابلةُ أنْ يكونَ هذا الصلح لمصلحةٍ أو بقدر الحاجة، بينما لم يَذكُرْ المالكيَّةُ والشافعيَّةُ ذلك.

مشروعيَّةُ مُعاهدات الصلح مع غير المُسلمين في الإسلام.

ذَهب جمهور العلماء إلى جواز(٣) عقد مُعاهدات الصلح والسَّلام مع غير المُسلمين، مُستدلِّين بذلك من القرآن الكريم والسنَّة النبويَّة المُطهَّرة.

---

(١) الخطيب الشربيني، شمس الدين محمد بن محمد (ت٩٧٧هـ/١٥٦٩م): مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: تحقيق/ علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ج٦/ ص٨٦؛ الرملي، شمس الدين محمد بن أبي العباس (ت١٠٠٤هـ/١٥٩٥م): نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج: دار الفكر ـ بيروت – لبنان، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج٨/ ص١٠٦؛ خميس المصري: المُعاهدات السلميَّة، ص٥.

(٢) الرحيباني مصطفى بن سعد بن عبده الحنبلي (ت ١٢٤٣هـ/١٨٢٧م): مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى: المكتب الإسلامي ـ دمشق ـ سوريا ، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ج٢/ ص٥٨٥؛ خميس المصري: المُعاهدات السلميَّة: ص٥.

(٣) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حبتة الأنصاري (ت١٨٢هـ/٧٩٨م): الخراج: المكتبة الأزهريَّة للتراث – مصر، تحقيق/ طه عبد الرءوف سعد، وسعد حسن محمد، ص٢٢٦، د. ط، د. ت؛ الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت٢٠٤هـ/٨١٩م): الأم: دار الفكر – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج٤/ ص١٩٩، ٢٠٠؛ ابن رشد، أبو الوليد محمد ←←←

أولًا: الأدلة من القرآن الكريم.

١- قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦١ ﴾ (١).

هذه الآية فيها توجيهٌ من الله – سبحانه وتعالى – إلى النبيِّ ﷺ بوقف القتال مع العدوِّ إذا طَلَب ذلك؛ إمَّا بدخولهم في الإسلام، أو بإعطاء الجزية، وإمَّا بالمُوادعة، أو نحو ذلك من أسباب السلم والصلح(٢).

→→→

بن أحمد بن محمد بن أحمد (ت ٥٩٥هـ/١١٩٨م): بداية المجتهد ونهاية المقتصد: دار الحديث – القاهرة، ب ط، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ج٢/ ص١٥٠؛ ابن قدامة (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م): المغني : ج١٣/ ص١٥٤؛ الموصلي (ت٦٨٣/ ١٢٨٤م): الاختيار لتعليل المختار: ج٤/ ص١٢٠؛ ابن القيم، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي (٧٥١هـ/١٣٥٠م): زاد المعاد في هدي خير العباد: تحقيق/ شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، مُؤسَّسة الرسالة ـ بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج٥/ ص٨٥؛ العيني، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى (ت ٨٥٥ هـ/١٤٥١م): البناية شرح الهداية: تحقيق/ أيمن صالح شعبان، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج٧/ ص١١٤؛ الشربيني (ت ٩٧٧هـ/١٥٦٩م): مغني المحتاج: ج٦/ ص٨٩ـ٩٤؛ خميس المصري: المُعاهدات السلميَّة، ص١٠.

(١) سورة الأنفال: آية ٦١.

(٢) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت٣١٠هـ/٩٢٢م): جامع البيان في تأويل القرآن: تحقيق/ أحمد محمد شاكر، مُؤسَّسة الرسالة ـ بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج١٤/ ص٤٠؛ الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي (ت٣٧٠هـ/٩٨٠م): أحكام القرآن: تحقيق/ محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت – لبنان، ١٤٠٥هـ، ج٤/ ص٢٥٠؛ القرطبي، شمس الدين أبو عبد اللَّه محمد الأنصاري الخزرجي (ت٦٧١هـ/١٢٧٢م): الجامع لأحكام القرآن: تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصريَّة – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ج٨/ ص٣٩ـ٤١.

٢- قال تعالى: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١﴾ إلى قوله تعالى: ﴿۝٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٤﴾[١].

هذه الآيات تبيِّن أنَّ النبي ﷺ كان قد عاهد المُشركين لأنه أُمِرَ بذلك، فلمَّا نَقَضُوا العهد قبل انقضاء المدَّة أوجب اللهُ نَبْذَ العهد، وكان هناك صنفٌ آخرُ من المُشركين لم ينقضوا العهد ولم ينتقصوا منه شيئًا ولم يُظاهروا على المُسلمين أحدًا، فأمَرَ اللهُ النبيَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمُسلمين بألَّا يَنقُضوا عهدَهم معهم، وأنْ يُتِمُّوا إليهم عهدَهم إلى انقضاء المدَّة المُحدَّدة، وكانت أربعةَ أشهر[٢].

وعليه؛ فإنَّ هذه الآياتِ تبيِّن مشروعيَّةَ عَقْد مُعاهدات الصلح والسَّلام مع غير المُسلمين.

ثانياً: الأدلة من السنَّة النبويَّة المُطهَّرة.

١- عنْ عَبْدِ الله بنِ عَمْرٍو أنَّ النبيِّ ﷺ قَالَ: "مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وإنَّ رِيحَها ليُوجَدُ مِنْ مَسيرَةِ أرْبَعِينَ عَامًا"[٣].

في هذا الحديث دلالةٌ واضحةٌ على مشروعيَّة عَقْد مُعاهدات الصلح والسَّلام مع غير المُسلمين، بل فيه توجيهٌ نبويٌّ بضرورة حماية أرواحهم، وتخويفٌ وتهويلٌ مِن جزاءِ مَن يقتل مُعاهدًا[١].

---

(١) سورة التوبة: الآيات من ١ إلى ٤.

(٢) الطبري: جامع البيان: ج١٤ ص٩٦، ١٣٢؛ الجصاص: أحكام القرآن: ج٤/ ص٢٦٤ـ٢٦٦؛ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: ج٨/ ص٦١ـ٧٥.

(٣) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (٢٥٦هـ/٨٦٩م): الجامع الصحيح المُختصر (صحيح البخاري): تحقيق/ مصطفى ديب البغا ـ دار ابن كثير، دار اليمامة – دمشق، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج٦/ ص٢٥٣٣، حديث رقم (٦٥١٦).

٢- قول النبي ﷺ زمن الحديبية: "وَالَّذِي نفسي بيده، لا يسألونني خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا"(٢).

في هذا الحديث أيضًا دلالةٌ واضحةٌ على مشروعيَّة عَقْد مُعاهدةٍ سلميَّةٍ مع المُشركين، وقد طبق ذلك عمليًّا يوم الحديبية فهَادَنَ قريشًا لمدَّة عشر سنوات(٣)، وقد قام النبيُّ ﷺ بِعَقْد بعض مُعاهدات السَّلام مع غير المُسلمين، منها:

مُهادنة النبي ﷺ لليهود عندما هاجر إلى المدينة(٤)، ومُهادنته ﷺ لليهود في خيبر(٥).

نخلُص من ذلك إلى جواز مشروعيَّة عقد مُعاهدات الصلح والسَّلام مع غير المُسلمين إنْ رأى الإمامُ في ذلك مصلحةً.

→→→

(١) خميس المصري: المُعاهدات السلميَّة في ضوء الواقع المعاصر، ص١٣.

(٢) البخاري: الجامع الصحيح: ج٢/ ص٩٧٤، حديث رقم (٢٥٨١)؛ خميس المصري: المُعاهدات السلميَّة، ص١٢.

(٣) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت ٢١٣هـ/٨٢٨م): السيرة النبويَّة: تحقيق/ مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م، ج٢/ ص٣١٧؛ خميس المصري: المُعاهدات السلميَّة، ص١٣.

(٤) ابن هشام: سيرة ابن هشام: ج١ ص٥٠١ـ٥٠٤؛ خميس المصري: المُعاهدات السلميَّة، ص١٣.

(٥) ابن هشام: سيرة ابن هشام: ج٢ ص٣٣٧؛ خميس المصري: المُعاهدات السلميَّة، ص١٣.

ثالثاً: سلاجقة[١] الروم.

تُنسب دولة سلاجقة الروم إلى مُؤسِّسها سليمان بن قتلمش بن إسرائيل بن سلجوق (٤٧٠ -٤٧٩هـ/١٠٧٧ - ١٠٨٦م)، وهو ابن عمِّ السلطان طغرل بك مُؤسِّس دولة السَّلاجقة العظام، كان أبوه قتلمش من أبطال السَّلاجقة الذين عملوا تحت إمرة طغرل بك، ولكنه انتقض من بعده على السلطان ألب أرسلان، وانتهى به

---

(١) ينتمي السَّلاجقة عمومًا إلى سلالة تركيَّة تنحدر من قبيلة قنق إحدى قبائل الأتراك الغز، وينتسبون إلى جدِّهم سلجوق بن دقاق الذي أسلم هو وجميعُ مَن تَبِعَهُ من رجال قبيلته عام (٣٥٠هـ/٩٦٠م)، وكانت منازلُهم في بلاد كشغر الواقعة في غرب بلاد الصين، وفي عام (٣٧٥هـ/٩٨٥م) نَزحت هذه القبيلة إلى إقليم خراسان بسبب الظروف الاقتصاديَّة السيِّئة، أو بسبب الحروب التي كانت تدور بين القبائل المُختلفة عادة، وقَصدوا إقليم خراسان التابع للدولة الغزنويَّة، وصاروا تحت تبعيَّة الغزنويين. بعد وفاة سلجوق تولَّى ابنُه الأكبر إسرائيل زعامة السَّلاجقة، وأصبح لهم قوَّةٌ عسكريَّةٌ يُخشى بأسها، فأدرك السلطان محمود الغزنوي ما لهم من قوَّة وبأس، وشعر بمدى الخطر الذي يُمكن أنْ يُشكِّلوه على دولته، ومن ثم قام بأسْر زعيمهم إسرائيل، فتولَّى زعامة السَّلاجقة بعد إسرائيل أخوه ميكائيل بن سلجوق، لكنه توفِّي في إحدى المعارك بعد أنْ تَرك ولدين، هما: جغري وطغرل، وقد استولى الأخيرُ بمُساعدة أخيه على إقليم خراسان عام (٤٢٩هـ/١٠٣٧م) مُؤسِّسًا بذلك دولة السَّلاجقة العظام مُناديًا بنفسه سُلطانًا على هذه الدولة، وقد استمرَّت هذه الدولة قويَّةً ومُتماسكةً حتى عام (٥٥٢هـ/١١٥٧م) عند مقتل السلطان سنجر (٥١١ـ٥٥٢هـ/ ١١١٨ـ١١٥٧م)، والذي تفكَّكت الدولةُ بعده إلى ولاياتٍ مُنفصلةٍ حَكمت أجزاءً مُختلفة من وسط وغربي آسيا (الحسيني، أبو الحسن علي بن ناصر (ت بعد ٦٢٢هـ): أخبار الدول السلجوقيَّة: نشريات فنجاب (البنجاب) لاهور، ١٩٣٣م، ص٣ـ٥؛ بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى: ترجمة/ أحمد السعيد سليمان: الهيئة المصريَّة للكتاب، ١٩٩٦م، ص٤٥، ٦٧، ٩٢، ١١٧).

الأمر إلى أنْ سَقط في إحدى المعارك ضدَّ السلطان عام (٤٥٦هـ/١٠٦٤م)[١]، وبعد وفاته أبلى ابنُهُ سليمان بلاءً حسنًا في معركة ملاذكرد عام (٤٦٣هـ/١٠٧١م)، وقام بدورٍ كبيرٍ في فتوحات الأناضول، فأصدر السلطان ملكشاه (ت٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م) قرارًا بتنصيبه أميرًا للجناح الشّماليِّ الغربيِّ لدولة السَّلاجقة[٢]، وقد استطاع سليمان الاستيلاء على مدينة نيقية[٣] واتَّخذها عاصمةً له، ولم يأتِ عام (٤٧٣هـ/١٠٨٠م) حتى أصبح مُسيطرًا على مُعظم أراضي آسيا الصغرى، واستطاع أنْ يُوسِّعَ دائرةَ فتوحاته، وأنْ يُرسيَ قواعد دولةٍ دامت أكثر من قرنين (٤٧٠-٧٠٧هـ/١٠٧٧-١٣٠٧م) تعاقَب أبناؤُه على حكمها[٤].

عُرفت الدولة باسم سلطنة سلاجقة الروم نسبةً إلى قاطنيها؛ لأنها كانت بلادَهم قبل أنْ يفتحَها السَّلاجقة[٥]، وكان المُسلمون يُسمُّون أقاليم الدولة البيزنطيَّة

---

(١) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م): الكامل في التاريخ: تحقيق/ عمر عبد السَّلام تدمري، دار الكتاب العربي ـ بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج٨/ ص١٩٢.

(٢) مجهول (ق ٧هـ): أخبار سلاجقة الروم: ترجمة وتحقيق/ محمد السعيد جمال الدين، المركز القومي للترجمة – القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م، صفحة د، مُقدِّمة المُحقق.

(٣) نيقية: مدينة قديمة كبيرة من أعمال القسطنطينيَّة، وتقع على الساحل الشرقيِّ أمام العاصمة البيزنطيَّة القسطنطينيَّة، وهي قديمةٌ لا يُعرف بانيها. (الحموي: معجم البلدان:ج٥/ ص٣٣٣؛ الحميري: الروض المعطار: ص٥٨٩)، وهي الآن مدينة إزنيق في تركيا. (موقع الموسوعة الحرَّة تحت مُسمَّى نيقية).

(٤) الحسيني: أخبار الدولة السلجوقيَّة، ص٣٠، ٣١؛ مجهول: مختصر سلجوقنامه: صفحة د المقدمة.

(٥) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م): رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) : أكاديميَّة المملكة المغربيَّة – الرباط، د. ط، ١٤١٧هـ، ج٢/ ص١٦٠.

في جملتها بلاد الروم، وكان لفظ الرومي في العصور الإسلاميَّة يُطلَق على النصرانيِّ سواءً أكان رومانيًّا أم يونانيًّا، ثم صار لفظ الروم بعد ذلك اسمًا يُطلق على أقرب الأقاليم النصرانيَّة إلى بلاد الإسلام، وهي آسيا الصغرى(١).

توفِّي سليمان بن قتلمش عام (٤٧٩هـ/١٠٨٦م) بعد أنْ تَرَك دولةً قويَّةً تعاقَبَ على عرشها أبناؤُه وأحفادُه، حَكم بعضُهم في قونية(٢) بعد سقوط نيقية العاصمة الأولى في أيدي الصليبيِّين(٣)،

---

(١) كي لسترنج (١٣٥٣هـ/١٩٣٤م): بلدان الخلافة الشرقيَّة، ترجمة/ بشير فرنسيس، كوركيس عواد، مُؤسَّسة الرسالة ــ بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص١٥٦؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى (٤٧٠ــ٧٠٤هـ/١٠٧٧ــ١٣٠٤م): دار النفائس ــ بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٥٣، هامش ١.

(٢) قُونِيَةُ: مدينة من أهمِّ المدن في الجنوب الغربيِّ من مدينة طرسوس، ومِن أعظم مدن المُسلمين ببلاد الروم، وبها وبقيصرية سكنى ملوكهم.(الحموي: معجم البلدان، ج٤/ ص٤١٥)؛ ابن عبد الحق، صفيّ الدين عبد المؤمن بن عبد الحق القطيعي البغدادي(ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م): مراصد الاطِّلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ج٣/ ص١١٣٤، وهي اليوم مدينة تركيَّة في قلب الأناضول، وهي عاصمة مُحافظةٍ تحمل نفس الاسم. (يحيى شامي: موسوعة المدن العربيَّة والإسلامية: دار الفكر العربي ــ بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ص٣١٨؛ موقع الموسوعة الحرَّة تحت مسمى قونية).

(٣) سَقطت مدينة نيقية عاصمة دولة السَّلاجقة عام (٤٩٠هـ/١٠٩٧م) في أيدي الصليبيِّين خلال حملتهم الصليبيَّة الأولى، والتي أسفرت عن قيام أربع إماراتٍ صليبيَّةٍ، هي: إمارة الرها، وأنطاكية، وطرابلس، ومملكة بيت المقدس، حيث عَبَرت مضيق البسفور مُتَّجهةً نحو دولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، فسقطت عاصمتُهم نيقيَة في أيديهم. (ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج٨/ ص٤١٥ــ٤١٧)؛ ستيفن رانسيمان (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م): تاريخ الحملات الصليبيَّة: ترجمة/ نور الدين خليل، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ج١/ ص٢٨٩).

بينما حَكَم بعضُهم الآخر في سيواس[١]، وتأرجحت الدولةُ بين القوَّة والازدهار تارةً وبين الضَّعف والانكسار تارةً أخرى حتى سقطت عام (٧٠٧هـ/١٣٠٧م)[٢].

قائمة سلاطين سلاجقة الروم خلال فترة البحث

م	الاسم	اللقب	فترة الحكم	
			هجري	ميلادي
١	سليمان بن قتلمش	لا يوجد	٤٧٠-٤٧٩	١٠٧٧-١٠٨٦
٢	قلج أرسلان الأول بن سليمان بن قتلمش	لا يوجد	٤٨٥-٥٠٠	١٠٩٢-١١٠٧
٣	ملكشاه بن قلج أرسلان	لا يوجد	٥٠٣-٥١٠	١١٠٩-١١١٦
٤	مسعود (الأول) بن قلج أرسلان الأول	ركن الدين	٥١٠-٥٥٠	١١١٦-١١٥٥
٥	قلج أرسلان الثاني بن مسعود الأول	عز الدين	٥٥٠-٥٨٨	١١٥٥-١١٩٢

(١) سيواس: مدينة مشهورة بأرض الروم كثيرة الخيرات والثمرات تقع إلى الشرق من قيسارية، وهي من أمهات المدن المشهورة عند التجار. أهلها مُسلمون (تركمان) ونصارى. (القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م): آثار البلاد وأخبار العباد: دار صادر ـ بيروت – لبنان، ص٥٣٧؛ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت٧٣٢هـ)، تقويم البلدان: دار صادر – بيروت، ١٨٥٠م، ص٣٨٥، وهي اليوم مدينة تركيَّة تقع شرق الأناضول، وهي عاصمة مُحافظة سيواس وسط تركيا. (يحيى شامي: موسوعة المدن: ص٣١٦؛ موقع الموسوعة الحرَّة تحت مسمى سيواس).

(٢) مجهول: أخبار سلاجقة الروم، ص٤١٥.

خريطة تظهر دولة سلاجقة الروم خلال عهد قلج أرسلان

رابعاً: الدولة البيزنطيَّة.

أولًا: مفهوم الدولة البيزنطيَّة

أُطلق على الدولة البيزنطيَّة عدَّةُ أسماء، أبرزُها:

١- **الدولة الرومانيَّة الشرقيَّة:** وذلك تمييزًا لها عن الإمبراطوريَّة الرومانيَّة القديمة التي سقطت عام (٤٧٦م) على أيدي القبائل الجرمانيَّة، وأيضًا تمييزًا لها عن الإمبراطوريَّة الرومانيَّة الغربيَّة التي تمَّ إحياؤُها على يد شارلمان في بداية القرن التاسع الميلاديِّ[١].

٢- **دولة الروم:** وهذا اللفظ (الروم) جاء في المصادر العربيَّة، وعلى رأسها القرآنُ الكريم، فقد وردت فيه هذه الكلمة (الروم) عند ذِكْر حروب هرقل إمبراطور الروم مع الفرس بعد مبعث النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وسُمِّيت سورةٌ كاملةٌ في القرآن بهذا الاسم، وقد ورد في المصادر العربيَّة كلمة (الروم) وأطلقها العربُ على الدولة البيزنطيَّة، ولقب ملك الروم على حاكم هذه الدولة[٢]، وذلك نسبةً إلى سكَّانها الأوائل من الرومان، ونسبةً إلى البحر المُتوسِّط الذي كان يُعرَف ببحر الروم[٣].

---

(١) جوزيف نسيم (ت١٤١٤هـ/١٩٩٣م): تاريخ الدولة البيزنطيَّة: دار المعرفة الجامعيَّة ـ الإسكندريَّة – مصر، ٢٠٠٥م، ص٥.

(٢) الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهمي (ت٢٠٧هـ/٨٢٢م): المغازي: تحقيق/ مارسدن جونس، دار الأعلمي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ج٢/ ص٨١١، ٨١٢؛ ابن هشام: السيرة النبويَّة: ج١/ ص٤٥١، ج٢/ ص٦٠٧؛ ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان التميمي (ت٣٥٤هـ/٩٦٥م): السيرة النبويَّة وأخبار الخلفاء: صحّحه / السيد عزيز وآخرون، الكتب الثقافيَّة ـ بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ، ج١/ ص٢٩٥.

(٣) الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م): المسالك والممالك: دار صادر ـ بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٤م، ص٦٨ـ٧١؛ ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل ←←←

٣- **الدولة البيزنطيَّة:** أُطلق هذا الاسم على الموقع الذي أقيمت فيه عاصمتُها، وكان يُعرَف قديمًا باسم مدينة بيزنطة التي أسَّسها بيزاس قائد المجموعة اليونانيَّة التي هاجرت إلى هذا الموضع خلال القرن السابع قبل الميلاد، فنُسِبَتْ إليه، وقيل: كلمة بيزنطي جاءت من كلمة بيزانتيوم (بيزنطة)، أو (بوزنطية) اسم لمدينة يونانيَّة قديمة تقع على البوسفور أُسِّست عام (٦٥٨ق.م)، وهو مضيقٌ يُشكِّل جزءًا من الممرِّ المائيِّ الذي يربطُ البحر الأسود بالبحر المُتوسِّط[١]، وحينما أراد الإمبراطور قسطنطين الأول (٣٠٥-٣٣٧م) بناءَ عاصمةٍ جديدةٍ للدولة بناها على أنقاض مدينة بيزنطة وعُرِفَتْ فيما بعدُ بالقسطنطينيَّة نسبةً إليه، وكان قد بدأ في بنائها عام (٣٢٤م)[٢].

ثانياً: التحديدُ الزمنيُّ للدولة البيزنطيَّة (البداية والنهاية).

١ـــ البداية.

اختلف الباحثون في تحديد عامٍ مُعيَّنٍ لقيام هذه الدولة، أبرزُها ما يأتي:

يرى البعضُ أنَّ عام (٢٨٤م) هو بداية الدولة البيزنطيَّة، ويرى أصحابُ هذا الرأي أنَّ هذا التاريخ يعدُّ حدًّا فاصلًا بين زمنَيْن مُنفصلَيْن تقريبًا في تاريخ الدولة الرومانيَّة، حيث تولَّى الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤-٣٠٥م) عرش الإمبراطوريَّة

→→→

البغدادي الموصلي (ت بعد ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م): صورة الأرض: دار صادر ـ أفست ليدن – بيروت، ١٩٣٨م، ج١/ ص١٩٠ـ٢٠٥.

(١) محمود سعيد عمران (ت١٤٣٦هـ/٢٠١٥): معالم تاريخ الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة: دار المعرفة الجامعيَّة ـ الإسكندريَّة – مصر، ٢٠٠٠م، ص١٣؛ أحمد زكي بك (ت١٣٥٣هـ/١٩٣٤م): قاموس الجغرافية القديمة: المطبعة الأميريَّة – مصر، ١٣١٧هـ/١٨٩٩م، ص٢٧؛ موقع الموسوعة الحرَّة.

(٢) السيد الباز العريني (ت١٣٨٩هـ/١٩٦٩م): الدولة البيزنطيَّة (٣٢٣ـ١٠٨١م)، دار النهضة العربيَّة ـ بيروت – لبنان، ص٣٠؛ عمران: معالم تاريخ الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة: ص٣٠.

الرومانيَّة وفكَّر في تقسيمها إلى قسمٍ شرقيٍّ وآخَرَ غربيٍّ؛ بسبب الظروف التي جدَّت على الإمبراطوريَّة في ذلك الوقت أو ما عُرِفَ بأزمة القرن الثالث[١].

بينما يرى البعضُ أنَّ عام (٣٢٣م) بداية ظهور الدولة البيزنطيَّة؛ لأنها السَّنَةُ التي اعتلى فيها قسطنطين الكبير عرشَ الإمبراطوريَّة وما رافَقَ ذلك من تطوُّراتٍ وتغيُّراتٍ دينيَّةٍ واجتماعيَّةٍ سريعةٍ أبرزُها انتصار المسيحيَّة على الوثنيَّة، وكذلك تشييد عاصمةٍ جديدةٍ على البسفور، فهذان الحادثان يُمثِّلان بداية الدولة البيزنطيَّة[٢].

ويرى البعضُ أنَّ عام (٣٣٠م) هو بداية الدولة البيزنطيَّة؛ لأنه العامُ الذي تمَّ فيه تأسيس مدينة القسطنطينيَّة تحت اسم روما الجديدة أو الثانية، ثم تحوَّل اسمُها إلى

---

(١) أزمة القرن الثالث (أو الفوضى العسكريَّة) تعرَّضت الإمبراطوريَّة الرومانيَّة خلال الفترة (٢٣٥–٢٨٤م) لأزمةٍ طاحنةٍ شملت جميع النواحي السِّياسيَّة والاقتصاديَّة والإداريَّة، في هذه الفترة انهارت الإمبراطوريَّة الرومانيَّة تقريبًا إثر الضغوط المُتراكمة عن الغزو والحرب الأهليَّة والطاعون والكساد الاقتصاديِّ. بدأت الأزمةُ باغتيال الإمبراطور ألكسندر سيفيروس على يد جنده، لتبدأ بذلك فترةٌ سعى فيها العديد من الجنرالات من الجيش الرومانيِّ إلى لقب الإمبراطور، مُحاولين فرضَ سُلطة إمبراطوريَّة على الإمبراطوريَّة كليًّا أو جزئيًّا، وفي الفترة بين ٢٥٨ و٢٦٠، انقسمت الإمبراطوريَّة إلى ثلاث ولاياتٍ مُتصارعة: الإمبراطوريَّة الغالية، وتشمل الولاية الرومانيَّة في الغال وبريطانيا وإسبانيا، وإمبراطوريَّة تدمر، وتشمل الولايات الشماليَّة في فلسطين السوريَّة وإجبتوس، والإمبراطوريَّة الرومانيَّة المُستقلَّة، ومركزها إيطاليا، ثم جاء أورليانوس (من ٢٧٠ إلى ٢٧٥) ليُوحِّد الإمبراطوريَّة، وانتهت الأزمةُ بتولِّي دقلديانوس وقيامه ببعض الإصلاحات عام (٢٨٤م). (أسد رستم (ت١٣٨٥هـ/١٩٦٥م): الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم، وثقافتهم، وصلاتهم بالعرب: دار المكشوف ـ بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٥٥م، ج١/ ص١٥ـ١٧؛ جوزيف نسيم: تاريخ الدولة البيزنطيَّة: ص١٦؛ موقع الموسوعة الحرَّة).

(٢) الباز العريني: الدولة البيزنطيَّة: ص٢٠؛ جوزيف نسيم: تاريخ الدولة البيزنطيَّة: ص١٦.

القسطنطينيَّة[١].

ويرى البعضُ أنَّ عام (٤٧٦م) هو البداية للدولة البيزنطيَّة، ويُمثِّل آخِرَ العهد بالإمبراطوريَّة الرومانيَّة في الغرب، حيث تنازل فيها رومولوس آخر أباطرة الغرب الضِّعاف عن عرشه، وانتهى بذلك الانفصالُ الظاهريُّ الذي حدَّد خطوطَه دقلديانوس، وبذلك انتقلت حقوقُ الحاكم الغربيِّ إلى الجالس على عرش القسطنطينيَّة، فاعتُبر هذا نهايةً للإمبراطوريَّة الرومانيَّة الغربيَّة من ناحيةٍ، وبدايةً للإمبراطوريَّة الشرقيَّة من ناحيةٍ أخرى[٢].

٢- النهاية.

يرى البعضُ أنَّ نهاية الدولة البيزنطيَّة كان عام (٦٠١هـ/١٢٠٤م)[٣]، وفي هذا العام سَقطت القسطنطينيَّة في أيدي قادة الحملة الصليبيَّة الرابعة وأسَّسُوا فيها إمارةً لاتينيَّةً استمرَّت حتى عام (٦٦٠هـ/١٢٦١م)، وعلى الرَّغم من أنَّ الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة أعيدت بعد ذلك واستمرَّت حتى أواسط القرن الخامس عشر الميلاديِّ فإنه لم يَعُدْ من مجدها القديم إلا ظلٌّ باهتٌ، حيث بدأت تتأثَّر بالطابع الغربيِّ[٤] .

ويرى البعضُ الآخَرُ أنَّ عام (٨٥٧هـ/١٤٥٣م) هو نهايةُ الدولة البيزنطيَّة، وفي هذا العام استولى الأتراك العثمانيُّون على القسطنطينيَّة بقيادة السلطان محمَّد الفاتح، وبسقوطها ينهار صرحُ العصور الوسطى ويبدأُ العصر الحديث، ويأخذ أغلبُ

---

(١) ستيفن رانسيمان (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م): الحضارة البيزنطيَّة: ترجمة/ عبد العزيز جاويد، الهيئة المصريَّة للكتاب – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م، ص٦؛ جوزيف نسيم: تاريخ الدولة البيزنطيَّة: ص١٦، ١٧.

(٢) جوزيف نسيم: تاريخ الدولة البيزنطيَّة: ص١٧.

(٣) نورمان بينز (ت١٣٨١هـ/١٩٦١م): الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة: ترجمة/ حسين مؤنس، محمود يوسف زايد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة – القاهرة، ١٩٥٠م، ص٧٠ـ٧٢.

(٤) جوزيف نسيم: تاريخ الدولة البيزنطيَّة: ص٢١.

المُشتغلين بالتاريخ البيزنطيِّ بهذا الرأي[١].

وسواءٌ أصحَّت هذه الرِّوايات أم لم تصحّ، فإنَّ الدولة البيزنطيَّة قد اقتَطعت من عمر الإنسانيَّة أكثرَ من عشرة قرون، حَكَم خلال هذه الفترة العديدُ من الأُسَر، بدأتْ بأُسْرة قسطنطين الأول (٣٠٥-٣٧٨م) وانتهت بأسرة باليولوجس (٦٥٦ــ٨٥٧هـ/١٢٥٨-١٤٥٣م)، وذلك فيما عدا الفترة الواقعة بين عامي (٦٠١هـ/١٢٠٤م) و(٦٦٠هـ/١٢٦١م) والتي تحوَّلت فيها الدولة البيزنطيَّة إلى إمارةٍ لاتينيَّة، وقد تأرجح حكمُ هذه الأُسرات بين القوَّة والضعف وبين العَظَمة والخمول، كما عمّر بعضُها في الحكم طويلًا، بينما لم يُعمّر البعض الآخر سوى بضع سنوات، وقد نُسبت هذه الأُسَر إلى مُؤسِّسيها، كأسرة قسطنطين الكبير وأسرة جستنيان وأسرة هرقل، بينما نُسب البعض الآخر إلى الأماكن التي جاءت منها، كالأسرة الأيسورية والمقدونيَّة؛ نسبةً إلى إقليمي أيسوريا ومقدونيا[٢].

خلال فترة البحث كان يحكمُ الدولةَ البيزنطيَّة آنذاك أسرةُ آل كومنين التي حَكمت خلال الفترة (٤٧٤-٥٨١هـ/١٠٨١-١١٨٥م)، ومُؤسِّسها هو ألكسيوس الأول الذي كان قائدًا عسكريًّا مُتميِّزًا، وأطاح بنقفور الثالث، وقد تميَّزت فترةُ حكمه بالحروب ضدَّ النورمان والأتراك السَّلاجقة، وفي عهده بدأت الحملات الصليبيَّة على بلاد المشرق، وجاءت الحملة الصليبيَّة الأولى عام[٣] (٤٩٠-٤٩٣هـ/١٠٩٦-١٠٩٩م)، وتأسَّست الإمارات الصليبيَّة المُستقلَّة[٤].

---

(١) جوزيف نسيم: تاريخ الدولة البيزنطيَّة: ص٢٣.

(٢) العريني: الدولة البيزنطيَّة: ص٨٩٤ــ٨٩٩؛ جوزيف نسيم: تاريخ الدولة البيزنطيَّة: ص٦، ٧.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج٨/ ص٤١٥.

(٤) نورمان بينز: الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة: ترجمة/ حسين مؤنس، محمود زايد، لجنة التأليف والترجمة ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى، ١٩٥٠م، ص٣٤١ــ٣٤٦، ٤٠١؛ رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبيَّة: ج١/ ص١٣٢ وما بعدها.

وقد تناوب على حكم الدولة البيزنطيَّة خلال فترة البحث ثلاثةُ أباطرة.

أباطرة الدولة البيزنطيَّة خلال فترة البحث

م	الاسم	فترة الحكم	
		هجري	ميلادي
١	ألكسيوس الأول كومنين	٤٧٤-٥١٢	١٠٨١-١١١٨
٢	يوحنا الثاني كومنين بن ألكسيوس	٥١٢-٥٣٨	١١١٨-١١٤٣
٣	مانويل الأول كومنين بن يوحنا	٥٣٨-٥٧٦	١١٤٣-١١٨٠

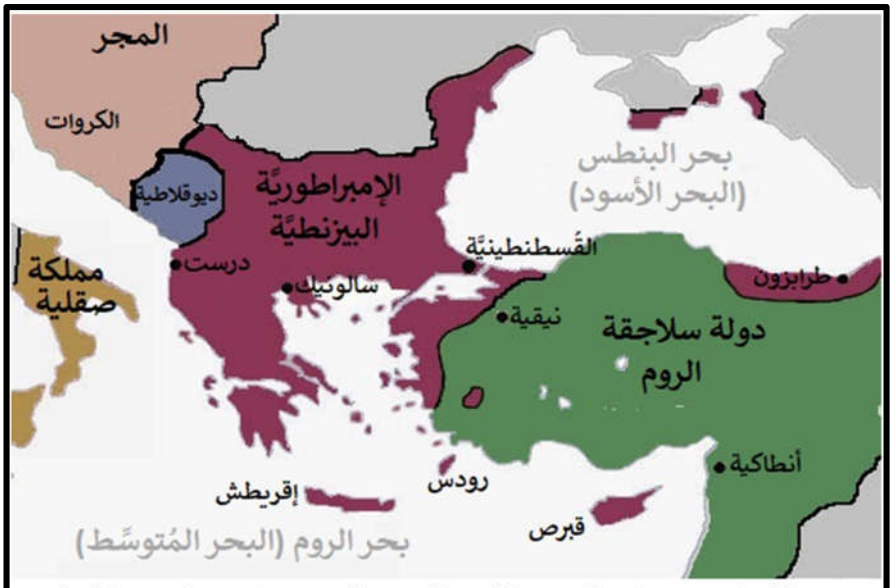

خريطة تظهر الإمبراطورية البيزنطيَّة ودولة سلاجقة الروم قبل الحملة الصليبيَّة الأولى (٤٩٠-٤٩٣هـ/١٠٩٦-١٠٩٩م)، موقع الموسوعة الحرّة.

الفصل الأول: مُعاهدات الصلح خلال الفترة (٤٧٤-٥١٠هـ/١٠٨١-١١١٦م) وفيه مبحثان:

المبحث الأول

مُعاهدات الصلح خلال الفترة (٤٧٤-٤٨٥هـ/١٠٨١-١٠٩٢م)

المُعاهدة الأولى عام (٤٧٤هـ/١٠٨١م)

طرفَا المُعاهدة:

- سليمان بن قتلمش (٤٧٠-٤٧٩هـ/١٠٧٧-١٠٨٦م).
- الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين (٤٧٤-٥١٢هـ/١٠٨١-١١١٨م).

سببُ المُعاهدة:

رغبة الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين في تركيز جهوده الحربيَّة ضدَّ خطر النورمان[١] الذي بات يُهدِّد الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة.

---

(١) النورمان: شعب إسكندنافي يرجع أصلُهم إلى العنصر الجرمانيِّ سكنوا: الدانمارك Denmark، النرويج Norway، السويد Sweden ومارسوا أعمالَ القرصنة والسَّلْب، عُرف هؤلاء في المصادر العربيَّة باسم الأردمانيين أو المجوس (ابن حيّان، أبو مروان حيان بن خلف القرطبي الأندلسي (ت٤٦٩هـ/١٠٧٦م): المقتبس في أخبار بلد الأندلس: تحقيق/ عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة ـ بيروت – لبنان، ١٩٦٥م، ص٢٣)، وعُرفوا في التاريخ الأوربيِّ باسم الفايكنج (vikings)، وكان من طبيعة هؤلاء النورمان حبُّ المُغامرة وجَوْب البحار بحثًا عن الأماكن الضَّعيفة في الشواطئ؛ لمُهاجمتها وسلبها، وقد شمل نشاطُهم مناطقَ عديدةً، وشنُّوا الغارات على العديد من الدول الأوربيَّة والإسلاميَّة، فهاجموا فرنسا منذ عام (٩١١م) وأقاموا لهم دوقية في شمالها عُرفت باسمهم دوقية نورمنديا، كما هاجموا إنجلترا عام (١٠٦٦م) على يد زعيمهم وليم الفاتح، وأدخلوها تحت حكمهم، ودخلوا في حروبٍ عديدةٍ مع الدولة البيزنطيَّة خلال الفترة (١٠٥٠ـ ١١٨٥م)، كما قاموا بمُهاجمة الشواطئ الأندلسيَّة منذ عام (٢٣٠هـ/٨٤٥م). (ابن القوطيَّة، أبو بكر محمد بن عمر القرطبي (٣٦٧هـ/٩٧٧م): تاريخ افتتاح الأندلس: ←←←

تفاصيل المُعاهدة:

صادَفَ تولِّي ألكسيوس كومنين عرش الدولة البيزنطيَّة قيام دولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى على يد سليمان بن قتلمش الذي عَمِلَ على توسيع مُمتلكاته، فقام بمُهاجمة أراضي الدولة البيزنطيَّة الواقعة على سواحل بحر مرمرة(١).

إزاء هذه التَّهديدات لم يقفْ الإمبراطور البيزنطيُّ ألكسيوس كومنين مكتوفَ الأيدي، فعمل على تجهيز جيشِه لمُواجهة أطماع سليمان بن قتلمش، وبالفعل نجح ألكسيوس كومنين في تحقيق بعض الانتصارات، ممَّا جعل السَّلاجقة يتخلَّوْن عن بعض المناطق التي كانوا قد استولوا عليها(٢)، إلا أنه لم يهنأْ بها، حيث ظَهَر في الأفق خطرٌ جديدٌ بات يُهدِّد الدولة البيزنطيَّة، ألا وهو خطر النورمان بقيادة روبرت

←←←

تحقيق/ عبد الله أنيس الطباع، مُؤسَّسة المعارف ـ بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص١٠٩). كما هاجموا جزيرة صقليَّة المُسلمة ونجحوا في الاستيلاء عليها عام (٤٨٤هـ/١٠٩١م) على يد رجار بعد حروبٍ استمرَّت ثلاثين عامًا، كما كان لهم دورٌ فعالٌ في بداية الحروب الصليبيَّة، وأقام بوهيمند النورماني ـ أحد قادة الحملة الصليبيَّة الأولى ـ أوَّلَ إمارةٍ صليبيَّةٍ لهم في أنطاكية عام (٤٩٢هـ/١٠٩٨م)، كما قاموا بمُهاجمة بلاد المغرب منذ عام (٥١٠هـ/١١١٦م). (سعيد عبد الفتاح عاشور (ت١٤٣١هـ/٢٠٠٩م): تاريخ أوربا في العصور الوسطى: دار النهضة العربيَّة – بيروت – لبنان، ١٩٧٦م، ج١/ ص٢٢٣ـ٢٤٥؛ أحمد مختار العبادي (ت١٤٣٧هـ/٢٠١٦م): في تاريخ الأندلس والمغرب: مُؤسَّسة الثقافة الجامعيَّة – الإسكندريَّة، ص١٤٨؛ أبو سعيد المصري: الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلاميِّ: المكتبة الشاملة، ج١٢/ ص١).

(١) بحر يربط بين البحر الأسود وبحر إيجة، ويفصل بين أوربا وآسيا. وسُمِّي بهذا الاسم نسبةً إلى جزيرة مرمرة الغنيَّة بالمرمر (الرخام) (موقع الموسوعة الحرَّة).

(٢) طقوش: تاريخ سلاجقة الروم: ص٦٢.

جويسكارد[١] دوق أبوليا[٢] (٤٥١-٤٧٨هـ/١٠٥٩-١٠٨٥م) الذي كان يُخطِّط للاستيلاء على القسطنطينيَّة[٣].

إزاء هذا الخطر الذي بات يُهدِّد الدولة البيزنطيَّة رأى ألكسيوس كومنين أنه من الحكمة مُهادنة سلاجقة الروم؛ حتى لا يقوموا بمُساعدة أعداء الدولة البيزنطيَّة من ناحيةٍ، إضافةً إلى الاستفادة منهم في حروبه ضدَّ النورمان من ناحيةٍ أخرى، ولذلك اضطرَّ إلى عَقْد مُعاهدة صلح مع سليمان بن قتلمش أوَّل سلاطين دولة سلاجقة الروم[٤].

---

(١) روبرت جويسكارد (٤٠٦ـ٤٧٨هـ/١٠١٥ـ١٠٨٥م) أحد زعماء النورمان اشتهر كسياسيٍّ ماهر وقائد شجاع، ويُعد المُؤسِّس الحقيقيّ لدولة النورمان في صقليَّة وجنوب إيطاليا بعد مُساندة البابا نيقولا له، حيث أقطعه دوقية أبوليا، وجَّه كلَّ جهوده نحو غزو إيطاليا والاستيلاء على مُمتلكات الدولة البيزنطيَّة، وتمكَّن من انتزاع بعض المدن من البيزنطيِّين، وتطلَّع للاستيلاء على القسطنطينيَّة، وبدأ بالزحف نحوها، لكنَّ المشاكل الداخليَّة في إيطاليا أجْبَرَتْه على العودة وقد حاول جويسكارد إعادةَ الكرة على أملاك الدولة البيزنطيَّة مرَّة أخرى، لكنَّ كلَّ مُحاولاته باءت بالفشل، وظلَّ الأمر كذلك حتى تُوفِّي جويسكارد عام (٤٧٨هـ/١٠٨٥م). (سعيد عبد الفتاح عاشور (ت١٤٣١هـ/٢٠٠٩م): أوربا العصور الوسطى: مكتبة الأنجلو المصريَّة ـ الطبعة التاسعة، ١٩٨٣م، ص٣٢٨؛ أحمد توني: الحياة السِّياسيَّة، ص١٦٠، ١٦١).

(٢) لم أعثر لها على ترجمة في المصادر المتاحة ، أبوليا إحدى مدن إيطاليا ، كانت جزء من مملكة نابولي، ثم انضمت إلى البندقية، وهي اليوم منطقة في جنوب شرق إيطاليا تطل على البحر الأدرياتيكي (موقع الموسوعة الحرة).

(٣) كومنينا، أنا ألكسيوس الأول كومنين (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م): ألكسياد، ترجمة/ حسن حبشي، المركز القومي للترجمة – القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م، ص١٦٣؛ أحمد توني: الحياة السِّياسيَّة، ص١٦٠.

(٤) محمود سعيد عمران (ت١٤٣٦هـ/٢٠١٥): السِّياسة الشرقيَّة للإمبراطوريَّة البيزنطيَّة في عهد الإمبراطور مانويل الأول ١١٤٣ـ ١١٨٠م: دار المعارف – القاهرة، ١٩٨٥م، ص٤٦؛ طقوش: سلاجقة الروم، ص٦٢؛ توني: الحياة السِّياسيَّة، ص١٦١.

شروط المُعاهدة.

- يحصل سليمان بن قتلمش على الأراضي المُمتدَّة حتى منابع نهر سانجاريوس(١).

- يكون نهر دراكون(٢) Dracon الحدَّ الفاصل بين الدولتين، وألَّا يجتازَهُ السَّلاجقة بأيِّ حالٍ من الأحوال(٣).

- يتعهَّد سليمان بعدم مُهاجمة حدود بيثينيا(٤).

- يقوم سليمان بن قتلمش بتقديم مُساعدةٍ عسكريَّةٍ للإمبراطور ألكسيوس كومنين قُدِّرت بسبعة آلاف مُقاتل وعددٍ من القادة الأكْفَاء لمُساعدة كومنين في مُواجهة النورمان(٥).

مدى استفادة الطرفين من المُعاهدة.

أولًا: استفادة سليمان بن قتلمش.

استغلَّ سليمان هذه المُعاهدة وانشغال الإمبراطور البيزنطيِّ بمُحاربة النورمان، فعَمِلَ على تأمين حدوده الشرقيَّة وتقويض مُمتلكات الدولة البيزنطيَّة في بلاد الشام،

---

(١) عمران: المرجع نفسه: ص٤٦؛ طقوش: المرجع نفسه: ص٦٢؛ توني: المرجع نفسه: ص١٦١، ولم أعثر على ترجمة لنهر سانجاريوس في الكتب المتاحة.

(٢) لم أعثر له على ترجمة في الكتب المتاحة.

(٣) أنا كومنينا: ألكسياد: ص١٦٢؛ عمران: المرجع نفسه: ص٤٦؛ طقوش: المرجع نفسه: ص٦٢؛ توني: المرجع نفسه: ص١٦١.

(٤) أنا كومنينا: المصدر نفسه: ص١٦٢؛ طقوش: المرجع نفسه: ص٦٣؛ وبيثينيا منطقة قديمة في شمال غرب آسيا الصغرى، وتجاور بحر مرمرة والبوسفور والبحر الأسود، وتقع حاليًّا شمال غرب تركيا. (موقع الموسوعة الحرَّة).

(٥) عمران: المرجع نفسه:ص٤٦؛طقوش:المرجع نفسه: ص٦٣؛ توني: المرجع نفسه: ص١٦١.

فتوجَّه إلى ثغور الشام ونَجَح في الاستيلاء على أذنة[١] والمصيصة[٢] وطرسوس[٣] عام (٤٧٥هـ/١٠٨٢م)[٤] ثم واصَل سيرَه نحو أنطاكية[٥]، فاستولى عليها عام (٤٧٧هـ/١٠٨٤م)[٦] .

---

(١) أذنة بلد من الثغور الشاميَّة قرب المصّيصة. (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج١/ ص١٣٣)، وتقع اليوم وسط جنوب تركيا قريبة من طرسوس. (عبد الحكيم العفيفي: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلاميَّة: دار أوراق شرقيَّة ـ بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٣٧).

(٢) المصيصة، مدينة من الثغور الشاميَّة تقع بين أنطاكية وبلاد الروم قرب طرسوس. (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج٥/ ص١٤٥)، تقع أطلالها حاليًّا بالقرب من مدينة أضنة بتركيا. (موقع الموسوعة الحرَّة).

(٣) طرسوس، مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم. (ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان: دار صادر ـ بيروت ـ الطبعة الثانية، ١٩٩٥م، ج٤/ ص٢٨)، وهي اليوم مدينة تركيَّة تقع جنوب البلاد على ساحل البحر المُتوسِّط، تابعة لمحافظة مرسين. (يحيى شامي: موسوعة المدن: ص٣١٦؛ موقع الموسوعة الحرَّة).

(٤) ابن تغري بردي، أبو المحاسن، جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد ـ دار الكتب – مصر، د. ط، ج٥/ ص١١٥؛ عمران: السِّياسة الشرقيَّة: ص٤٦.

(٥) أَنْطاكِيَة: مدينة يونانيَّة تقع غربيّ مدينة حلب، فتَحها المسلمون بقيادة الصحابيِّ الجليل أبي عبيدة بن الجراح عام (١٥هـ/٦٣٦م)، فأضحت من أهمِّ المدن الإسلاميَّة في بلاد الشام. (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج١/ ص٢٦٦ـ٢٦٩)، وتعدُّ أنطاكية اليوم من المدن التاريخيَّة والسِّياحيَّة والتجاريَّة في جنوب تركيا ضمن محافظة هاتاي. (يحيى شامي: موسوعة المدن: ص٣٠٩، ٣١٠؛ العفيفي: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلاميَّة: ص٦٩؛ موقع الموسوعة الحرَّة).

(٦) ابن القلانسي، أبو يعلى التميمي حمزة بن أسد بن علي بن محمد (ت٥٥٥هـ/١١٦٠م): تاريخ دمشق: تحقيق/ سهيل زكار، دار حسان – دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص١٩٠؛ ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله العقيلي (ت٦٦٠هـ/١٢٦١م):

←←←

زادت أطماع سليمان في بلاد الشام، ممَّا جعله يدخُل في صراع مع تتش بن ألب أرسلان[١]، ممَّا أدَّى إلى مقتله في إحدى المعارك عام (٤٧٩هـ/١٠٨٦م)[٢] تاركًا عرش دولة سلاجقة الروم بدون وريثٍ شرعيٍّ، فقام الأمير أبو القاسم[٣] بالاستيلاء على الحكم،

←←←

زبدة الحلب في تاريخ حلب: وضع حواشيه/ خليل المنصور، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص٢١٢ـ٢١٤؛ ابن واصل، أبو عبد الله التميمي الحموي محمَّد بن سالم (ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب: تحقيق/ جمال الدين الشيال وآخرون، دار الكتب والوثائق القوميَّة ـ المطبعة الأميريَّة – القاهرة، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م، ج١/ ص١٤.

(١) تاج الدولة أبو سعيد تتش بن ألب أرسلان (٤٥٨ـ٤٨٧هـ/١٠٦٥ـ١٠٩٤م) سلطان دمشق ومُؤسِّس دولة السَّلاجقة بالشام، وشقيق السلطان ملك شاه السلجوقي، وُلد عام (٤٥٨هـ/١٠٦٥م) أسند إليه شقيقه ملك شاه حُكم بلاد الشام عام (٤٧٠هـ/١٠٧٧م)، وكلَّفه بضمِّ ما يستطيع من الأقاليم المُجاورة إلى حوزة السَّلاجقة، وبالفعل نجح تتش في الاستيلاء على دمشق عام (٤٧١هـ/١٠٧٨) وحلب عام (٤٧٨هـ/١٠٨٥م)، كما نجح في السَّيطرة على العديد من مناطق بلاد الشام وضمَّها لدولته. كان تتش عمّ السلطان بركياروق، وكانت العلاقات بينهما سيِّئةً فجَّرت بينهما مُنافراتٍ أدَّت إلى المُحاربة، والتقيا بالقرب من مدينة الري، فهُزم تتش وقُتل في المعركة في شهر ربيع الأول من عام (٤٨٧هـ/١٠٩٤م) تاركًا ولدين: أحدهما رضوان الذي استقلَّ بحكم حلب، والآخر أبو نصر دقاق واستقلَّ بحكم دمشق. (ابن خَلِّكان، شمس الدين أحمد بن محمد البرمكي الإربلي (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر ـ بيروت – لبنان، د. ط، ج١/ ص٢٩٥، ٢٩٦).

(٢) ابن القلانسي، أبو يعلى التميمي حمزة بن أسد بن علي بن محمَّد (ت٥٥٥هـ/١١٦٠م): تاريخ دمشق: تحقيق/ سهيل زكار، دار حسان – دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص١٩٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج٨/ ص٣٠٣؛ ابن العديم: زبدة الحلب: ص٢١٨.

(٣) أبو القاسم، لم يَرِدْ ذكرُه في المصادر العربيَّة، ويبدو أنَّ سليمان بن قتلمش قبل مسيره إلى أنطاكية عام (٤٧٧هـ/١٠٨٤م) قد عيَّنه على نيقية نائبًا عنه وجَعَل له السُّلطة العليا على

←←←

وظلَّ يحكم دولة سلاجقة الروم حتى عام (٤٨٥هـ/١٠٩٢م)[١].

لا شكَّ أنَّ هذه المُعاهدة أفادت سليمان بن قتلمش إلا أنَّ أطماعه التي لا حدودَ لها أدَّت إلى مقتله.

ثانياً: استفادةُ الإمبراطور البيزنطيِّ من هذه المُعاهدة.

لا شكَّ أنَّ الإمبراطور البيزنطيَّ ألكسيوس كومنين كان من أكبر المُستفيدين من هذه المُعاهدة؛ لأن روبرت جويسكارد زعيم النورمان كان قد أعدَّ العدَّة لمُهاجمة القسطنطينيَّة، وجهَّز جيشَيْن كبيرَيْن، الأول تحت قيادته، ومهمَّتُه الاستيلاءُ على مدينة دورازو[٢] عن طريق البحر، والثاني بقيادة ابنه بوهمند، ومهمَّتُه الزحفُ نحو المدينة المذكورة من ناحية البَرِّ[٣].

نجح جويسكارد وابنه في فَرْض الحصار على دورازو، أمَّا ألكسيوس كومنين فإنه عندما شعر بخطورة الموقف استنجد بسلاجقة الروم لكي يُمِدُّوه بما تمَّ الاتِّفاق عليه، كما طلب النجدة من البنادقة مُستميلًا إياهم بالهدايا والرَّشاوى والعهود[٤].

بعد أنْ أعدَّ ألكسيوس كومنين العدَّةَ غادر بجيشه القسطنطينيَّة عام (٤٧٤هـ/١٠٨١م) تاركًا أخاه إسحاق عليها مُتوجِّهًا لقتال جويسكارد الذي أحرز عدَّةَ انتصاراتٍ في البداية على البيزنطيِّين، لكنه لم يهنأْ بهذه الانتصارات؛ إذ سرعانَ ما انتَهزت بعضُ مُقاطعات جنوب إيطاليا غيابه، وقامت بالثورة ضدَّ النورمان، فكان على

→→→

أمراء دولته، وبعد مقتل سليمان استقلَّ كلُّ أمير بما تحت يده، أمَّا أبو القاسم فأعلن نفسه حاكمًا على نيقية، وعَمِل على توسيع ممتلكاته (أنا كومنينا: ألكسياد: ص٢٥٦، أحمد توني: الحياة السِّياسيَّة: ص١٦٣)

(١) عمران: السِّياسة الشرقيَّة: ص٤٧؛ أحمد توني: الحياة السِّياسيَّة: ص١٦٣.

(٢) لم أعثر لها على ترجمة، ولعلَّها كانت إحدى مدن الدولة البيزنطيَّة.

(٣) أنا كومنينا: ألكسياد: ص١٦٣.

(٤) أنا كومنينا: المصدر نفسه: ص١٧٥.

جويسكارد أنْ يعودَ من حيثُ أتى للقضاء على الاضطرابات والثورات الداخليَّة، وقد ترك ابنه بوهيموند لاستكمال المهمَّة، غير أنَّ الابن لصِغَرِ سنِّه وقلَّة خبرته تعرَّض لبعض الهزائم على أيدي البيزنطيِّين، وعندما انتهى جويسكارد من مشاكله، وحاول العودةَ مرَّةً ثانيةً لمُهاجمة القسطنطينيَّة، كان قد خسر العديد من جنوده، إضافةً إلى انتشار الأمراض بين مَن ظلَّ منهم على قيد الحياة، ممَّا أدَّى إلى صعوبة تحقيق هدفه وخاصَّةً بعد أنْ تلقَّى عدَّة هزائمَ على أيدي البيزنطيِّين، فقرَّر العودة إلى لمبارديا بعد أنْ تيقَّن أنَّ أطماعه في الاستيلاء على القسطنطينيَّة أصبحت سرابًا، ولم يمكُثْ طويلًا، فقد تُوفِّي عام (٤٧٨هـ/١٠٨٥م)[١]، وهكذا كانت استفادةُ الإمبراطور البيزنطيِّ ألكسيوس كومنين من هذه المُعاهدة، وتخلَّص من عدو (جويسكارد) كاد يقضي عليه وعلى دولته.

المُعاهدة الثانية عام (٤٧٩هـ-/١٠٨٦م)

طرفَا المُعاهدة:

- أبو القاسم حاكم نيقية (٤٧٩-٤٨٥هـ/١٠٨٦-١٠٩٢م).
- الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين (٤٧٤ - ٥١٢هـ/١٠٨١-١١١٨م).

سبب المُعاهدة:

عُقدت هذه المُعاهدة بناءً على طلب الإمبراطور البيزنطيِّ ألكسيوس كومنين؛ وذلك خوفًا من تزايُد خطر البجنك[٢] الذي بات يُهدِّد الدولة البيزنطيَّة[١].

---

(١) عمران: معالم تاريخ الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة: ص٢٥٨، ٢٥٩.

(٢) البجنك أو البجناك أو البشناق اختلفت الآراء حول أصولهم، فالبعضُ يرى أنَّهم قومٌ في شرق أوروبا لعبوا دورًا مهمًّا خلال العصور الوسطى، ويرى البعضُ الآخر أنهم من أصلٍ تركيٍّ، عاشوا في القرن الثامن الميلاديِّ تقريبًا، بينما يرى البعضُ الآخر أنَّ أصولهم مغربيَّة، ظهر ←←←

تفاصيل المُعاهدة:

بعد وفاة سليمان بن قتلمش عام (٤٧٩هـ/١٠٨٦م) استقلَّ كلُّ أميرٍ من ولاة المدن والقلاع بما في يده، وكان سليمان حينما عَزم إلى التوجُّه نحو أنطاكية عهد إلى أبي القاسم أحد وُلاته بحماية نيقية، ولكن بعد وفاة سليمان طمع أبو القاسم في الاستيلاء على السُّلطة، وأصبح الحاكمُ الفعليُّ لدولة سلاجقة الروم[٢]؛ وذلك لأنَّ السلطان ملكشاه (٤٦٥-٤٨٥هـ/ ١٠٧٣-١٠٩٢م) كان قد أخذ قلج أرسلان الابن الأكبر لسليمان رهينة[٣]، فلم يكنْ في دولة سلاجقة الروم مَن يصلُح لتولِّي الحكم، وبعد أنْ أصبح أبو القاسم حاكم دولة سلاجقة الروم توجَّه لمُهاجمة أملاك الدولة البيزنطيَّة؛ بهدف توسيع نفوذه، فقام بإرسال بعض الحملات للاستيلاء على نيقوميديا، ممَّا اضطرَّ الإمبراطور البيزنطيَّ ألكسيوس كومنين إلى إرسال بعض قوَّاته للدفاع عن المدينة وحمايتها[٤].

→→→

البجناك في منطقة البلقان، وتميَّزوا على غيرهم بقدراتهم العسكريَّة المُتميِّزة، ودخلوا في صراع مع الدولة البيزنطيَّة، كما اعتَنق بعضهم الإسلام، وكانوا يُرسلون طلابًا منهم إلى بلاد الشام، وبالتحديد إلى مدينة حلب؛ لدراسة الدين الإسلاميِّ، وبهذه الطريقة تمكَّن البجناكيون من حمل الثقافة العربيَّة الإسلاميَّة ونشرها في بعض مناطق المجر وبلاد البلقان، ولذلك قاموا بدورٍ كبيرٍ خلال العصور الوسطى. (القزويني: آثار البلاد: ص٥٨٠؛ سامر بايروش أحمدي: انتشار الإسلام في كوسوفا: مركز البحوث والدِّراسات بوزارة الأوقاف والشئون الإسلاميَّة ـ الدوحة – قطر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/٢٠٠٨م، ص٨٧ـ٨٩).

(١) أحمد توني: الحياة السِّياسيَّة: ص١٦٤.

(٢) أنا كومنينا: ألكسياد: ص٢٥٦؛ أحمد توني: المرجع نفسه ص١٦٣.

(٣) طقوش: تاريخ سلاجقة الروم: ص٧٠.

(٤) طقوش: تاريخ سلاجقة الروم: ص٧١؛ أحمد توني: الحياة السِّياسيَّة: ص١٦٣.

لم يكتفِ أبو القاسم بذلك، بل قام بإرسال بعض الحملات؛ لمُهاجمة بعض الأقاليم البيزنطيَّة المُجاورة(١).

إزاء هذه التَّهديدات لم يقفْ الإمبراطور البيزنطيُّ مكتوفَ الأيدي، فقام بإرسال حملتين؛ إحداهما برِّيَّة، والأخرى بَحريَّة؛ لردع أبي القاسم، وقد نجحت هاتان الحملتان في تحقيق بعض الانتصارات عليه، فاضطرَّ إلى العودة إلى عاصمته نيقية(٢).

كانت أطماعُ أبي القاسم ومُهاجمته لأملاك الدولة البيزنطيَّة سببًا في توتُّر العلاقات بينه وبين الإمبراطور البيزنطيِّ ألكسيوس كومنين، وعلى الرَّغم من انتصار الأخير، فإنه أراد كسب ودِّ وصداقة أبي القاسم، فأرسل إليه يطلب منه عَقْدَ مُعاهدة صلح، كما وجَّه له الدعوةَ لزيارة القسطنطينيَّة، تقول أنا كومنينا:"كان الإمبراطور رجلًا يَعرف كيف يكسبُ قلوب الناس ويستميلُها إليه. كما كان قادرًا على أنْ يُلين أشدَّهم جفوة، فأرسل إلى أبي القاسم ينصحُه بالتخلِّي عن هذه الخطط التي لا تُجدي نفعًا، وأنْ يكفَّ عن الضرب في الهواء، وأدرك أنَّ الخير له إنما يكون في مُبادرته إلى الاتِّفاق معه هو ذاته؛ لأنه إنْ فعل ذلك جنَّب نفسه كثيرًا من المشقَّة، وغنم النعم الوفيرة، وحظي بالإنعامات الجمَّة"(٣).

---

(١) امتدَّت هذه الأقاليم من بيثينيا إلى برونونتس. (أنا كومنينا: ألكسياد: ص٢٥٦؛ أحمد توني: المرجع نفسه: ص١٦٣؛ طقوش: تاريخ سلاجقة الروم: ص٧١).

(٢) كومنينا: ألكسياد: ص٢٥٨؛ أحمد توني: المرجع نفسه: ص١٦٣.

(٣) ألكسياد: ص٢٥٨، ٢٥٩.

أمَّا أبو القاسم فقد رحَّب بذلك خوفًا من السلطان السلجوقيِّ ملكشاه[١](٤٦٥-٤٨٥هـ/ ١٠٧٢-١٠٩٢م) الذي كان قد عَقَد العزم على إرسال جيشٍ إلى آسيا الصغرى؛ للحدِّ من أطماع أبي القاسم[٢].

بالفعل استجاب أبو القاسم لطلب الإمبراطور البيزنطيِّ، وتمَّ عقدُ هذه المُعاهدة بين الطرفين، وكانت رغبةُ الأخير في تجنُّب الصِّراع مع أبي القاسم مُؤقتًا للتفرُّغ إلى المشاكل التي تعرَّضت لها دولته والمُتمثِّلة في خطر قبائل البجنك[٣].

بهذه المُعاهدة تمكَّن أبو القاسم هو الآخَر من تجنيب خطر البيزنطيِّين، إضافةً إلى كسب ولاء الإمبراطور البيزنطيِّ له وإمداده ببعض المُساعدات العسكريَّة إن اضطرَّتْه الظروف إلى ذلك[٤].

---

(١) أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، الملقَّب جلال الدولة، ثالث سلاطين دولة السَّلاجقة العظام، تولَّى الحُكم بعد وفاة أبيه ألب أرسلان عام (٤٦٥هـ/١٠٧٢م) بلغت الدولة في عهده أقصى اتِّساع لها، فامتدَّت من كاشغر في أقصى المشرق إلى بيت المقدس في الغرب، وبهذا فقد كانت تشملُ كامل الجزء الإسلاميِّ من قارَّة آسيا عدا الجزيرة العربيَّة ودول جنوب شرق آسيا. يُقال: إنه كان من أفضل السَّلاطين سيرة، توفِّي عام (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) ودُفن ببغداد. (ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ): المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج١٦/ ص٣٠٨ ـ٣١٣؛ ابن خَلِّكان: وفيات الأعيان: ج٥/ ص٢٨٣ـ٢٨٨).

(٢) البنداري، عماد الدين محمد بن محمد الأصبهاني (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م): تاريخ دولة آل سلجوق: دار الكتب العلميَّة ـ بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٢٢٨؛ طقوش: تاريخ سلاجقة الروم: ص ٧١؛ أحمد توني: الحياة السِّياسيَّة: ص١٦٤.

(٣) أحمد توني: المرجع نفسه: ص١٦٤.

(٤) طقوش: المرجع نفسه: ص٧١؛ أحمد توني: المرجع نفسه: ص١٦٤.

لم تَذكر المصادرُ المُتاحة لدى شروط هذه المُعاهدة، ولكن يبدو أنَّ الهدف منها كان تجنيب كلِّ طرف منهما للآخر؛ للقضاء على بعض المشاكل الأخرى التي باتت تهدِّد كلًّا منهما.

مدى استفادة الطرفين من المُعاهدة.

لمعرفة استفادة طرفي المُعاهدة منها لا بُدَّ أولًا من معرفة الأحداث التي مرَّت بكلِّ طرفٍ منهما:

بالنِّسبة لأبي القاسم كان السلطان السلجوقيُّ ملكشاه عَزَم على إرسال حملةٍ بقيادة برسق باعتباره حاكم أملاك السَّلاجقة في آسيا الصغرى[١] لتأديب أبي القاسم، إلا أنَّ هذه الحملة لم تنجحْ في تحقيق أهدافها؛ وذلك لأنَّ أبا القاسم استنجَد بالإمبراطور البيزنطيِّ ألكسيوس كومنين أثناء حصار برسق لأبي القاسم في نيقية، فأرسل له الإمبراطور فرقةً من أكفأ قوَّاته، ممَّا اضطرَّ برسق إلى فك الحصار عن نيقية[٢].

لكن ما الذي جَعل الإمبراطور البيزنطيَّ يُرسل هذه النجدة إلى الأمير أبي القاسم؟ تجيب أنا كومنينا على هذا التساؤُل فتقول: "لم يكنْ غرضُه من وراء ذلك مُساعدة أبي القاسم كما يبدو للناظر، ولكنه قدّر أنْ تؤدِّيَ هذه القوَّة إلى تدمير الرجل؛ لأنه كان يرى أنه إذا تحارب عدوَّان للإمبراطوريَّة الرومانيَّة فخيرٌ للإمبراطور أنْ يُعيِّن أضعفَهما لا ليجعلَه أشدَّ بأسًا، ولكن لينتزع من يد الآخر مدينةً لم تكنْ تحت حكمه، ثم تتلوها خطوةٌ أكبر فيستولي على مدينةٍ ثانيةٍ فثالثة، وحينذاك تزدادُ رقعة هذا

---

(١) ابن العديم: زبدة الحلب: ص٢٢٠؛ طقوش: المرجع نفسه: ص٦٩.

(٢) كومنينا: ألكسياد: ص٢٦٢؛ طقوش: المرجع نفسه: ص٧١؛ أحمد توني: المرجع نفسه: ص١٦٤.

النفوذ اتِّساعًا بعد أنْ كان قد تقلَّص لا سيَّما منذ أنْ أخذت قوَّة الترك الحربيَّة في الازدياد"[١].

وعلى الرَّغم من أنَّ هذا الرأي قد يبدو منطقيًّا؛ فإنه في رأيي أنَّ الإمبراطور البيزنطيَّ قد اضطرَّ إلى إرسال هذه النجدة لأبي القاسم؛ وذلك إعمالًا لمُعاهدة الصلح التي عُقدت بينهما من ناحية، إضافةً إلى أنه لم يكنْ على يقينٍ بانتصار برسق على أبي القاسم، وربما كان يأملُ في انتصار الأخير لطلب النجدة منه في حروبه مع البجناك متى شاء من ناحيةٍ أخرى، وهذا ما حدث بالفعل.

على كلِّ حال، بعد أنْ فَشِلَتْ حملة برسق قام السُّلطان ملكشاه بإرسال حملةٍ أخرى بقيادة بوزان[٢] أمير الرها[٣] للقضاء على أبي القاسم وانتزاع مدينة نيقية، كما حمَّله رسالةً إلى الإمبراطور البيزنطيِّ ألكسيوس كومنين؛ مفادُها: أنْ يتخلَّى عن مُساعدة أبي القاسم مُقابل أنْ تكونَ له أنطاكيا وبعض مناطق آسيا الصغرى، وأنْ تكونَ بينهما علاقةُ مُصاهرة، حيث يتزوَّج ابن السلطان ملكشاه من ابنة الإمبراطور

---

(١) ألكسياد: ص٢٦١.

(٢) بوزان، أحد الأمراء المُقدَّمين في الدولة السلجوقيَّة، ولَّاه السلطان ملكشاه حاكمًا على الرها عام (٤٨١هـ/ ١٠٨٨م)، كان موصوفًا بالشجاعة والبسالة والسماحة، قُتل عام (٤٨٧هـ/١٠٩٤م) على يد تتش بن ألب أرسلان. (ابن القلانسي: تاريخ دمشق: ص٢٠٩).

(٣) الرها والرهاء: بضم أوّله، والمدّ، والقصر: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام. (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج٣ ص١٠٦) كانت مركزًا للمسيحيَّة قبل الإسلام، فتحها عياض بن غنم صلحًا، وفي عام (٤٩١هـ/١٠٩٨م) أقام فيها بلدوين أوَّلَ إمارةٍ صليبيَّةٍ استمرَّت حتى عام (٥٣٩هـ/١١٤٩م) حينما استردَّها عماد الدين زنكي، وهي اليوم من أكبر المدن التركيَّة، وتُعرَف باسم أورفة، وتقع في مُحافظة أورفة في منطقة جنوب شرق الأناضول قرب الحدود السوريَّة. (يحيى شامي: موسوعة المدن: ص٣١٥، ٣١٦؛ موقع الموسوعة الحرَّة).

البيزنطيِّ ألكسيوس كومنين[١].

كان ردُّ الإمبراطور على هذه الرسالة حسبما ذكرتْ أنا كومنينا هو الرفض، فتَذْكُر: أنه عندما قرأ الرسالة لم يتمالَكْ نفسَه من الانفجار ضاحكًا من سفاهة هذا السلجوقيِّ على حدِّ تعبيرها، وأنه دمدم قائلًا: "ما أرى إلا الشيطان هو الذي أملى عليه ما كَتب، وزيَّن له ما طلب"[٢].

ثم تَذْكر: أنَّ الإمبراطور كان يرى أنه من الحكمة أنْ يفتحَ أمام السلطان أبوابَ الأمل الكاذب حتى يظلَّ واهمًا، فجهَّز بعض سفرائه وأراد أنْ يُرسلهم إلى السلطان برسالةٍ مفادُها ترحيبه بفكرة السَّلام ومُوافقته على اقتراحاته، غير أنَّ هؤلاء السفراء قبل وصولهم إلى خراسان سمعوا بوفاة السلطان ملكشاه، فعادوا أدراجَهم إلى بيزنطة[٣].

وفي رأيي: أنَّ الإمبراطور البيزنطي كان مُوافقًا على هذا الاقتراح، ولم يَرْفُضْ كما ذكرتْ كومنينا التي أرادت من هذا القول ربما إعلاء شأن الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة وتجميل صورتها، أمَّا الإمبراطور ألكسيوس كومنين فرأى أنه سوف يُحقِّق من خلال هذا الصلح العديد من المكاسب بالنِّسبة للدولة البيزنطيَّة، أهمُّها: سيطرتُه على أنطاكية وبعض مناطق آسيا الصغرى، إضافةً إلى أنه سيكتسبُ إلى جانبه – بسبب المُصاهرة – حليفًا قويًّا، وهو السلطان ملكشاه الذي قد يلجأ إليه لمُساعدته في دفع خطر البجناك الذي بات يُهدِّد عرش دولته، فما الذي يمنعُه من تحقيق كلِّ هذه المكاسب.

---

(١) أنا كومنينا: ألكسياد: ص١٦٣، ١٦٤؛ سهيل طقوش: تاريخ سلاجقة الروم: ص٧١؛ أحمد توني: الحياة السِّياسيَّة: ص١٦٥.

(٢) ألكسياد: ص٢٦٤.

(٣) كومنينا: ألكسياد: ص٢٦٤.

وعلى الرَّغم من مُوافقة الإمبراطور على مطالب ملكشاه فإنه ظلَّ على مُساعدته لأبي القاسم، ولعلَّه كان يُفضِّل مُجاورة أميرٍ ضعيفٍ على سُلطان قويٍّ، أو ربما أراد أنْ يُمسك بمُنتصف العصا، فلا يُبادر بعداوة أبي القاسم لا سيَّما أنَّ ما طلبه السلطان مُجرَّد اقتراحات، ولم يتحقَّقْ منه شيءٌ على أرض الواقع.

وبفضل مُساعدة الإمبراطور لأبي القاسم نجح الأخيرُ في التصدِّي لحملة بوزان على نيقية، فما كان من الأخير إلا أنْ تَرَكَ حصار المدينة وعَسْكر بجيشه بعيدًا عنها، ويبدو أنَّ أبا القاسم قد عاد لصوابه ووجد أنَّ التمرُّد على السلطان ليس في مصلحته، فقرَّر الدخولَ في طاعته، فتَرك أخاه بولكاس[١] على نيقية وذَهب لمُقابلة السلطان لتقديم فروض الولاء والطاعة، إلا أنَّ بوزان تمكَّن من القبض عليه قبل وصوله إلى السلطان، وقتله عام (٤٨٥هـ/١٠٩٢م)[٢].

هذه الأحداث تبيِّن أنَّ أبا القاسم لم يَستفِدْ من هذه المُعاهدة كثيرًا باستثناء مُساعدة الإمبراطور له أثناء حصارَيْ برسق وبوزان لنيقية.

(١) لم أعثر له على ترجمةٍ في المصادر المُتاحة.

(٢) كومنينا: المصدر نفسه: ص٢٦٣؛ أحمد توني: الحياة السِّياسيَّة: ص١٦٥.

أمَّا بالنِّسبة للإمبراطور البيزنطيِّ فإنه بعد توقيع هذه المُعاهدة خلال الفترة (٤٨٠-٤٨٤هـ/ ١٠٨٧-١٠٩١م) دَخَل في عدَّة حروبٍ مع قبائل البجناك تأرجحت بين الهزيمة تارةً والانتصار تارةً أخرى، ثم لم يلبثْ أنْ توالت انتصاراتُه عليهم بعد أنْ تحالَفَ مع الكومان[١] Cumans مُقابل الحصول على الغنائم[٢].

نتيجةً لذلك يُمكن القول: إنَّ الإمبراطور البيزنطيَّ ألكسيوس كومنين كان المُستفيد الأكبر من هذه المُعاهدة؛ لأنه نجح في تحييد عدوٍّ كان دائم الإغارة على مُمتلكاته، إضافةً إلى أنه تفرَّغ لِدَرْء خطر البجناك، وإن كان هذا الخطرُ لم يتمّ القضاءُ عليه نهائيًّا.

---

(١) يعدُّ شعب الكومان من الشعوب التركيَّة التي كانت تقيم في سهول آسيا الوسطى، وكانت تلك الشعوب من الشعوب المتنقِّلة، وعندما أقاموا حول أراضي البحر الأسود قاموا بتشكيل اتِّحاداتٍ، وشاركوا في حروب الخوارزم والقوقاز، كما أنّهم تدخَّلوا في الصِّراعات التي كانت في صربيا وجورجيا وبلغاريا والمجر، وقاموا بالهجوم على خاقانات روس ومملكة المجر والإمبراطوريَّة البيزنطيَّة، كما يُقال بأنّه كان لهم دورٌ كبير عند إقامة القبيلة الذهبيَّة المغوليَّة، وشاركوا في الغارات التي شارك بها المغول. أصبح الكومان شعبًا أقوى، وتمكَّن من السيطرة على أرض القوقاز وجورجيا وجزْءٍ من الأراضي المجريَّة، وقد ساعدهم ذلك على الانتشار والسيطرة على مناطقَ كبيرةٍ؛ ولذلك كان لهم دورٌ كبيرٌ خلال فترة العصور الوسطى. (عادل هلال: العلاقات بين المغول وأوربا وأثرها على العالم الإسلاميِّ: عين للدِّراسات والبحوث – مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ص٣٤، ٣٥؛ موقع الموسوعة الحرَّة).

(٢) طه خضر عبيد: تاريخ الدولة البيزنطيَّة (٣٢٤ـ١٤٥٣م): دار الفكر ـ عمان – الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/٢٠١٠م، ص٩٥.

المبحث الثاني

مُعاهدات الصلح خلال الفترة (٤٨٥-٥١٠هـ/١٠٩٢-١١١٦م)

المُعاهدة الأولى عام (٤٨٥هـ/١٠٩٢م)

طرفَا المُعاهدة:

- السلطان قلج أرسلان الأول (٤٨٥-٥٠٠هـ/١٠٩٢-١١٠٧م).
- الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين (٤٧٤-٥١٢هـ/١٠٨١-١١١٨م).

سبب المُعاهدة:

المشاكل أو الأحوال التي مرَّت بها الدولتان هي مَن ألزمت الطرفين بعَقْد هذه المُعاهدة، وللوقوف على أسباب هذه المُعاهدة لا بُدَّ من الوقوف على أحوال الدولتين.

أولًا: أحوال الدولة البيزنطيَّة:

لم تكنْ الدولة البيزنطيَّة قد فرغت من خطر البجناك حتى ظهر خطرٌ جديدٌ مُتمثِّلٌ في أحد القادة الأتراك ويُدعى زاخاس[1] حاكم أزمير[1] الذي كان يطمع في التوسُّع

(١) زاخاس أو تزاخاس أحد الأمراء الأتراك السَّلاجقة الذين شاركوا في موقعة ملاذكرد عام (٤٦٣هـ/١٠٧١م) وحقَّقوا انتصارًا عظيمًا على الدولة البيزنطيَّة، استولى زاخاس على مدينة أزمير الواقعة على بحر إيجة وأقام فيها حكمًا لنفسه، وأخذ يشنُّ الغارات على مُمتلكات الدولة البيزنطيَّة، وجرت بينهما حروبٌ أدت إلى وقوعه أسيرًا في أيدي البيزنطيِّين، وظلَّ في الأَسْر لمدَّة عشر سنوات (٤٦٤ـ٤٧٤هـ/١٠٧٢ـ١٠٨١م) تعلَّم خلالها اللغة اليونانيَّة، وتعرَّف أساليب البيزنطيِّين السِّياسيَّة والعسكريَّة، وفي عام (٤٧٤هـ/١٠٨١م) تمكَّن زاخاس من الهرب والعودة إلى بلاد الأناضول، وجَمَع حوله بعض الجند المُرتزقة من الأتراك واليونانيِّين والبيزنطيِّين، كما عمل على بناء أسطولٍ قويٍّ أخذ يشنُّ به الغارات على الجزر والمدن القريبة منه، بل هدَّد القسطنطينيَّة عاصمة الدولة البيزنطيَّة، ودخل في صراع مع الإمبراطور ألكسيوس كومنين، الذي عمل على الإيقاع بين زاخاس وبين قلج أرسلان الأول، ممَّا أدَّى إلى مقتل زاخاس عام ←←←

باتِّجاه الغرب على حساب مُمتلكات الدولة البيزنطيَّة، بل وَصَل به الطموح إلى اعتلاء عرش الدولة البيزنطيَّة[٢]، فقام بتجهيز أسطولٍ بحريٍّ كبيرٍ هدَّد به سواحل القسطنطينيَّة أكثرَ من مرَّة[٣].

إزاء هذه التَّهديدات لم يقفْ الإمبراطور البيزنطيُّ مكتوفَ الأيدي، فقام هو الآخَر بتجهيز عدَّة حملاتٍ وعَمِلَ على إرسالها الواحدة تلو الأخرى؛ لمُواجهة زاخاس، لكنَّ جميعها باءت بالفشل[٤].

اشتدَّ خطرُ زاخاس على الدولة البيزنطيَّة خاصَّةً بعد أنْ تحالَفَ مع البجناك في مُحاولةٍ منه لتشتيت قوَّاتها ووضعها بين شقَّيْ الرَّحى، وقد نجح زاخاس في الاستيلاء على بعض المدن الساحليَّة، بل ذهب طموحُه إلى أبعدَ من ذلك، فاتَّخذ لنفسه لقبَ إمبراطور في أزمير، واستَخدم شارات الدولة البيزنطيَّة ورُتَبَها[٥].

→→→

(٤٨٥هـ/١٠٩٢م). (كومنينا: أكسياد: ص٢٩٥ـ٢٩٩؛ رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبيَّة: ص١٤٣، ١٤٤؛ أحمد توني: الحياة السِّياسيَّة: ص٢٤ـ٢٦).

(١) أزمير، سمَّاها ابن بطوطة يزمير، وهي مدينة كبيرة تقع على ساحل البحر مُعظمها خراب، ولها قلعة مُتصلة بأعلاها. (أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله بن محمَّد اللواتي الطنجي (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار: دار الشرق العربي – لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ج١/ ص٢٣٣)، واليوم أزمير مدينة وميناء غرب تركيا على خليج أزمير الواقع على بحر إيجة، وهي مركز مُقاطعة تُعرَف بنفس الاسم، وتعدُّ مرفأً سياحيًّا وتجاريًّا وصناعيًّا شهيرًا، وأهمُّ موانئ تركيا بعد إسطنبول، كما تُعَد ثالث أكثر مدينةٍ من حيث عددُ السكَّان في تركيا بعد إسطنبول وأنقرة. (يحيى شامي: موسوعة المدن: ص٣٠٦؛ موقع الموسوعة الحرَّة).

(٢) رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبيَّة: ج١ ص١٤٢؛ طقوش: تاريخ سلاجقة الروم: ص٧٠.

(٣) كومنينا: ألكسياد: ص٣٥١؛ أحمد توني: الحياة السِّياسيَّة: ص١٦٦.

(٤) كومنينا: المصدر نفسه: ص٣٥٢؛ أحمد توني: المرجع نفسه: ص١٦٦.

(٥) كومنينا: المصدر نفسه: ص٣٤٥؛ أحمد توني: المرجع نفسه: ص١٦٧.

لم يكنْ أمام الإمبراطور البيزنطيِّ إلا استخدامُ الطرق الشرعيَّة وغيرها للدفاع عن دولته، فأعدَّ أسطولًا قويًّا بقيادة أكفأ قادته قسطنطين دالاسينوس، وأَمَره بالخروج لمُواجهة زاخاس، كما عمل في الوقت نفسه على إثارة المشاكل والإيقاع بين السلطان قلج أرسلان الأول (٤٨٥- ٥٠٠هـ/١٠٩٢-١١٠٧م) والأمير زاخاس، فأرسل رسالةً إلى السلطان يقول فيها: "إلى السلطان المُعظَّم قلج أرسلان: إنَّك لتعرِفُ أنَّ السلطنة ملكٌ لك بحقِّ الوراثة، وها هو ابنُ جلدتك زاخاس على الرغم من تظاهُره بالاستعداد لمُحاربة الإمبراطور، فإنَّ طويَّته الشِّريرة وخطَّته اللئيمة مُوجَّهةٌ بأكملها ضدَّك أنت .... إلخ"[1].

بالنَّظر إلى هذه الرسالة نجد أنَّ الإمبراطور البيزنطيَّ قام بتحريض السلطان ضدَّ الأمير زاخاس والإيقاع بينهما، كما قام بتخويفه على دولته من هذا الأمير وأطماعه التي لا حدودَ لها.

ثانياً: أحوال دولة سلاجقة الروم.

بعد مقتل الأمير أبي القاسم عام (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) ووفاة السلطان ملكشاه في العام نفسه تولَّى عرشَ سلطنة السَّلاجقة العظام السلطان بركياروق[2] (٤٨٥-٤٩٨هـ/١٠٩٢-١١٠٤م) فقام بإطلاق سراح قلج أرسلان الأول[3](٤٨٥-٥٠٠هـ/١٠٩٢-١١٠٧م) حيث كان السلطان السابق ملكشاه قد أخذه رهينةً منذ

---

(١) كومنينا: المصدر نفسه: ص٣٥١، ٣٥٢.

(٢) أبو المظفَّر بركياروق ركن الدين ابن السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان رابع سلاطين السَّلاجقة العظام، ولي السلطنةَ بعد موت أبيه، وكان أبوه قد ملك ما لم يملك غيره، ودخل سمرقند وبخارى، وغَزَا بلاد ما وراء النهر. وُلد عام (٤٧٤هـ/١٠٨١م)، وتوفي عام (٤٩٨هـ/١١٠٤م)، وأقام في السلطنة اثنتي عشرة سنة وعدة أشهر. ابن الجوزي: المنتظم: ج١٧/ ص٧٣؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان: ج١ ص٢٦٨).

(٣) سبقت ترجمته.

عام (٤٧٩هـ/١٠٨٦م)، وبعد إطلاق سراح قلج أرسلان توجَّه على الفور إلى نيقية لتسلُّم عرش السلطنة من بولكاس شقيق أبي القاسم باعتباره الوريثَ الشرعيَّ لدولة سلاجقة الروم، وبالفعل تسلَّم قلج أرسلان عرشَ السلطنة بعد فترة شغورٍ امتدَّت نحو ستِّ سنوات(١).

ويرى البعضُ أنَّ الظروف لم تكنْ مُهيَّأةً لقلج أرسلان للدخول في صراعٍ مع الدولة البيزنطيَّة خاصَّةً في هذا الوقت، فأراد أنْ يعملَ أولًا على تقوية نفوذه وتوطيد سُلطانه في آسيا الصغرى، كما يرى أنَّ الانتصارات التي حقَّقها زاخاس على الدولة البيزنطيَّة وما كبَّدها من خسائرَ لاقت قَبولًا وارتياحًا لدى قلج أرسلان خاصَّة، وأنَّ زاخاس كان بمثابة الدرع الواقي من الخطر البيزنطيِّ (٢).

وإنْ كنتُ أتَّفق مع الباحث في كون الظروف لم تكنْ مُهيَّأةً لقلج أرسلان للدخول في صراعات، لكنْ من وجهة نظري: يُؤخَذ على السلطان أنه عندما وصلَتْه الرسالةُ من الإمبراطور البيزنطيِّ أعدَّ العدَّة للقضاء على زاخاس ودَعَاه لمُلاقاته في نيقية وإعداد وليمةٍ له وقتله بيده(٣).

خاصَّةً وأنَّ الأمير زاخاس قد لبَّى دعوة السلطان، وهذا دليلٌ على عدم تمرُّده عليه، كما لم يكنْ يعلمُ أنَّ السلطان سوف يَغْدِرُ به ويقتلُه.

على كلِّ حال تمَّ التخلُّص من الأمير زاخاس بمُؤامرةٍ في وجهة نظري تُوصَف بالخيانة، واطمأنَّ الإمبراطور إلى نجاح مسعاه في التخلُّص منه، ثم بعد ذلك عَقَد مُعاهدة صلح (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) مع قلج أرسلان الأول حتى يطمئنَّ على حدوده

---

(١) طقوش: تاريخ سلاجقة الروم: ص٧٠.

(٢) أحمد توني: الحياة السِّياسيَّة: ص١٦٨.

(٣) كومنينا: ألكسياد: ص٣٥٢، ٣٥٣؛ رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبيَّة: ص١٤٣؛ طقوش: المرجع نفسه: ص٧٣؛ أحمد توني: المرجع نفسه: ص١٦٩.

الشرقيَّة، ولكي يتفرَّغ للقضاء على خطر قبائل الكومان الذي اشتدَّ على الأقاليم الغربيَّة للدولة البيزنطيَّة(١).

وترى أنا كومنينا: أنَّ السلطان قلج أرسلان هو مَن طلب توقيعَ هذه المُعاهدة وليس الإمبراطور(٢).

وفي رأيـي: كان عقدُ هذه المُعاهدة في مصلحة الدولتين معًا، فالسلطان قلج أرسلان ما زال في بداية حكمه، وكان يعمل على توطيد سُلطانه بآسيا الصغرى وتقويته، وكان يعلمُ علم اليقين أنَّ دخوله في صراع مع الدولة البيزنطيَّة لم يكنْ أبدًا في صالحه.

أمَّا الإمبراطور البيزنطيُّ، فكان في أشدِّ الحاجة لعقد هذا الصلح؛ وذلك لالتقاط أنفاسه بعد المشاكل الكثيرة التي تعرَّضت لها دولتُهُ على يد الأمير زاخاس من ناحيةٍ، وللتفرُّغ للقضاء على خطر الكومان من ناحيةٍ أخرى.

المُعاهدة الثانية عام (٥١٠هـ/١١١٦م)

طرفَا المُعاهدة:

- السلطان ملكشاه (٥٠٣-٥١٠هـ/١١٠٩-١١١٦م) ابن قلج أرسلان الأول.
- الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين(٤٧٤-٥١٢هـ/١٠٨١-١١١٨م).

سبب المُعاهدة:

رغبة الطرفين وخاصَّةً السلطان ملكشاه في إنهاء حالة الحرب بينهما، وإعطاء الفرصة لالتقاط الأنفاس.

---

(١) أحمد توني: المرجع نفسه: ص١٦٩.

(٢) ألكسياد: ص٣٣٣.

التفاصيل:

كان الإمبراطور البيزنطيُّ ألكسيوس كومنين قد عَقد مُعاهدة صلح مع قلج أرسلان عام (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) لكي يتفرَّغ للقضاء على خطر الكومان، وبعد أنْ نجح الإمبراطور في إبعاد هذا الخطر عن دولته عاوَدَ سياستَه مرَّةً أخرى للهجوم على مُمتلكات سلاجقة الروم في مُحاولةٍ منه لاستعادة بعض مُدن الدولة البيزنطيَّة بآسيا الصغرى. كان ذلك في الوقت الذي تواترت فيه الأخبارُ بقدوم الحملة الصليبيَّة الأولى (٤٩٠ــ٤٩٣هـ/١٠٩٦-١٠٩٩م) إلى بلاد الشرق، فزادت هذه الأنباء من آمال ألكسيوس كومنين في استعادة الأراضي البيزنطيَّة التي استولى عليها سلاجقة الروم قبل ذلك(١).

بعد أنْ وَصلت جيوش الحملة الصليبيَّة الأولى إلى القسطنطينيَّة طالَبَ الإمبراطور البيزنطيُّ قادتَها بأداء يمين الطاعة والولاء له، وأنْ يتعهَّدُوا بتسليمه الأراضي التي يستولون عليها من أيدي السَّلاجقة؛ لأنها كانت من أملاك الدولة البيزنطيَّة(٢).

لم يكتفِ الإمبراطورُ البيزنطيُّ ألكسيوس كومنين بذلك، بل حرَّضهم على سرعة عبور البسفور والاستيلاء على نيقية عاصمة دولة سلاجقة الروم، وبالفعل وصل الصليبيُّون إلى نيقية في الساس عشر من جمادى الأولى/ السادس من مايو عام

---

(١) أحمد توني: الحياة السِّياسيَّة: ص١٦٩.

(٢) ابن القلانسي: تاريخ دمشق: ص٢١٩، متى الرهاوي (ت بعد عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م): تاريخ متى الرهاوي: ترجمة/ محمود الرويضي، عبد الرحيم مصطفى ـ مؤسَّسة حمادة للدِّراسات – الأردن، ٢٠٠٩م، ص٦٨؛ رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبيَّة: ج١ ص٢٤٥؛ أحمد توني: الحياة السِّياسيَّة: ص١٦٩.

(٤٩٠هـ/١٠٩٧م) وضربوا حولها الحصار. كان ذلك في الوقت الذي توجَّه فيه السلطان قلج أرسلان إلى حدوده الشرقيَّة [١] لمُحاربة الدانشمنديين [٢].

لم ينجحْ الصليبيُّون في الاستيلاء على نيقية، فأرسلوا إلى الإمبراطور البيزنطيِّ كي يُساعدهم في الاستيلاء عليها، وقد رحَّب الإمبراطور بذلك، ووَجَد أنَّ الفرصة مُواتِيةٌ لاستعادة نيقية إلى حوزة الدولة البيزنطيَّة، وبالفعل وصل الإمبراطور بجيشه إلى نيقية، وأعلنت حاميتها أنهم على استعداد لتسليمها إلى الإمبراطور خاصَّةً بعد أنْ فَشِلَ قلج أرسلان الأول في نجدة المدينة وفوَّض الأمر لحاميتها في التصرُّف بحسب ما تقتضيه الظروف، فقاموا بتسليم المدينة للإمبراطور البيزنطيِّ الذي عامَلَ أهلَها مُعاملةً حسنةً، ممَّا أثار غضب الصليبيِّين، وهكذا استفاد الإمبراطور البيزنطيُّ

---

(١) كومنينا: ألكسياد: ص٤١٥؛ الرهاوي: تاريخه: ص٦٨؛ رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبيَّة: ج١ ص٢٨٤، ٢٨٥.

(٢) ينسب الدانشمنديون إلى أحمد بن دانشمند أحد أمراء التركمان الذين كانوا مع السلطان السلجوقيِّ ألب أرسلان في حروبه ضدَّ البيزنطيِّين والكرج منذ عام (٤٥٥هـ/١٠٦٣م)، وقد حاز إعجاب السلطان؛ لِمَا كان يتمتَّع به من فطنةٍ وحسن تدبير في المهامِّ التي كلَّفه بها السلطان، فمَنَحه ولايات توقات وسيواس وملطية وأبلستين ونيكسار، وسلَّمه منشورًا يتضمَّن اعترافًا منه بحكمه على كلِّ ولايةٍ يتمكَّن من بسط نفوذه عليها، وقد نجح الأمير أحمد في تأسيس إمارته المُستقلَّة بعد انتصار السَّلاجقة على البيزنطيِّين في معركة ملاذكرد عام (٤٦٣هـ/١٠٧١م) تعاقَب على حكمها أبناؤُه مِن بعده، وقد كان الدانشمنديون في تنافُس مع سلاجقة الروم الذين سيطروا على أراضٍ كثيرةٍ كانت تحيط بهم، كما قاموا بحروبٍ واسعةٍ ضد الصليبيِّين، وظلَّت هذه الإمارةُ قائمةً حتى عام (٥٧٣هـ/١١٧٧م)، حيث سقطت على يد قلج أرسلان الثاني سلطان سلاجقة الروم. (ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج٩ صفحات مُتفرِّقة، علي بن صالح المحيميد: الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الأناضول: مُؤسَّسة شباب الجامعة ـ الإسكندريَّة – مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، صفحات متفرقة).

ألكسيوس كومنين من قدوم الحملة الصليبيَّة الأولى واستعاد نيقية من أيدي السَّلاجقة [١].

بعد سقوط نيقية واصل الصليبيُّون زحفَهم عبر آسيا الصغرى واصطدموا بسلاجقة الروم، وأحرزوا عليهم عدَّة انتصارات، ممَّا مكَّن الإمبراطورَ البيزنطيَّ في استعادة قوَّاته لبعض السواحل الشماليَّة والجنوبيَّة الغربيَّة لآسيا الصغرى، فضلًا عن بعض المدن الداخليَّة، كما واصل الصليبيُّون زحفَهم إلى بلاد الشام والجزيرة، وتمكَّنوا من الاستيلاء على الرها عام (٤٩٢هـ/ ١٠٩٨م) وإقامة أوَّل إمارةٍ صليبيَّةٍ بها[٢]، كما استولَوْا على أنطاكية من العام نفسه وأقاموا بها إمارةً صليبيَّةً ثانية[٣]، ورَفَض الصليبيُّون تسليم هاتين المدينتين للإمبراطور البيزنطيِّ ألكسيوس كومنين، ممَّا كان سببًا في توتُّر العلاقات بين الطرفين في الوقت الذي تحسَّنت فيه علاقة الإمبراطور بالسلطان قلج أرسلان الأول[٤].

ظلَّت العلاقات هادئةً بين الطرفين حتى وفاة قلج أرسلان عام (٥٠٠هـ/١١٠٦م)، وبعد وفاته ظلَّ عرشُ سلاجقة الروم شاغرًا حتى عام

---

(١) كومنينا: ألكسياد: ص٤١٧، ٤٢٠؛ رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبيَّة: ج١ ص٢٨٩، ٢٩٠؛ أحمد توني: الحياة السِّياسيَّة: ص١٧٣.

(٢) رانسيمان: المرجع نفسه: ج١/ ص٣٢٤، ٣٢٥؛ سعيد عبد الفتاح عاشور (ت١٤٣١هـ/ ٢٠٠٩م): الحركة الصليبيَّة: مكتبة الأنجلو المصريَّة – القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ج١/ ص١٤٩.

(٣) كومنينا: المصدر نفسه: ص٤٢٧؛ رانسيمان: المرجع نفسه: ج١/ ص٣٦٣؛ سعيد عاشور: الحركة الصليبيَّة: ج١/ ص١٦٧.

(٤) أحمد توني: الحياة السِّياسيَّة: ص١٧٥.

(٥٠٣هـ/١١٠٩م)؛ وذلك لأنَّ ملكشاه الابن الأكبر لقلج أرسلان كان قد وقع في الأَسْر[١]، أمَّا الابن الأصغر فقد وقع هو الآخر في أَسْر الدانشمنديين[٢].

وفي عام (٥٠٣هـ/١١٠٩م) عاد ملكشاه[٣] بن قلج أرسلان إلى قونية وتسلَّم عرش الدولة، وأخذ في ترتيب قوَّاته لاسترداد البلاد التي كان الإمبراطور البيزنطيُّ قد استولى عليها إبان الحملة الصليبيَّة الأولى، فهاجمت قوَّاتُه مدينة فيلادلفيا عام (٥٠٦هـ/١١١٢م) إلا أنَّ هذه القوَّات تلقَّت الهزيمةَ على أيدي البيزنطيِّين[٤].

وفي عام (٥٠٧هـ/١١١٣م) هاجمت قوَّاتُ السلطان ملكشاه المدنَ البيزنطيَّة بآسيا الصغرى حتى بلغوا أسوار نيقية[٥].

خشي الإمبراطور البيزنطيُّ من استيلاءَ السَّلاجقة على نيقية عاصمتهم الأولى، فجهَّز جيشًا قاده بنفسه وعَبَر إلى آسيا الصغرى ودارت بعضُ المعارك بينه وبين قوَّات ملكشاه أسفرت عن هزيمة الأخير، ولكنْ بعد أنْ كبَّد البيزنطيِّين خسائِرَ فادحة[٦].

استمرَّ توتُّر العلاقات بين الطرفين، وتعدَّدت المعارك بينهما دون أنْ يُحقِّق أحدُهما على الآخر انتصارًا حاسمًا، ممَّا أدَّى إلى استنفاد قوَّات الطرفين، وترى

---

(١) أسره الأمير جاولي سقاو وأرسله إلى السلطان محمد بن ملكشاه. (ابن القلانسي: تاريخ دمشق: ص٢٥٤).

(٢) أحمد توني: المرجع نفسه: ص١٧٥.

(٣) ابن القلانسي: تاريخ دمشق: ص٢٥٤؛ ابن العبري، أبو الفرج جمال الدين غريغوريوس بن توما الملطي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م): تاريخ الزمان: ترجمة/ الأب إسحاق رملة ـ دار المشرق ـ بيروت – لبنان، ١٩٩١م، ص١٣٠.

(٤) أحمد توني: المرجع نفسه: ص١٧٧.

(٥) أسد رستم: الروم: ج٢ ص١٣٣؛ أحمد توني: الحياة السِّياسيَّة: ص١٧٧.

(٦) أسد رستم: المرجع نفسه: ج٢ ص١٣٣؛ أحمد توني: المرجع نفسه: ص١٧٨.

كومنينا أنَّ الإمبراطور ألكسيوس حقَّق انتصاراتٍ عظيمةً على السَّلاجقة كانت نكبةً على السلطان ملكشاه وجيشه، ممَّا اضطرَّ إلى طلب الصلح مع الإمبراطور البيزنطيِّ ألكسيوس كومنين الذي رحَّب على الفور(١).

ويُشير بعض الباحثين(٢) إلى أنَّ هناك أمورًا مُتعدِّدةً دَفعت الطرفين إلى عَقْد هذه المُعاهدة، منها:

- تزايُد خطر الدانشمنديين على الدولتين، ممَّا جعل الإمبراطور البيزنطيَّ يخشى من هجومهم على مُمتلكاته.

- الصِّراع الذي نشب بين السلطان ملكشاه وأخيه مسعود؛ من أجل الاستيلاء على السُّلطة(٣).

- فشل الوحدة بين الكنيستين البيزنطيَّة والرومانيَّة عام (٥١٠هـ/١١١٦م) والتي حاول الإمبراطور البيزنطيُّ ألكسيوس تحقيقَها - أرغمَتْه على إنهاء حالة الحرب والعودة إلى القسطنطينيَّة؛ خوفًا من دعوة البابا لحربٍ صليبيَّةٍ جديدة(٤).

أتَّفِقُ مع الباحث في ذلك، وأُضيف إلى ذلك أنَّ الحملة الصليبيَّة الأولى وما ترتَّب عليها من قيام إماراتٍ صليبيَّةٍ قريبةٍ من القسطنطينيَّة، كإمارتَيْ الرها وأنطاكية لا تزالان تُمثِّلان خطرًا على الدولة البيزنطيَّة.

---

(١) ألكسياد: ص٥٦١؛ أسد رستم: المرجع نفسه: ج٢ ص١٣٣؛ أحمد توني: المرجع نفسه: ص١٧٨.

(٢) أحمد توني: المرجع نفسه: ص١٨١.

(٣) طقوش: تاريخ سلاجقة الروم: ص١١٦.

(٤) إسحاق عبيد: روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين ٨٦٩-١٢٠٤م: دار المعارف - مصر، ١٩٧٠م، ص١٥١-١٥٤؛ طقوش: المرجع نفسه: ص١١٧؛ أحمد توني: المرجع نفسه: ص١٨١.

كلُّ هذه المشاكل أجبرت الطرفين على عقد هذا الصلح، حيث التقى السلطان ملكشاه والإمبراطور البيزنطيُّ ألكسيوس كومنين عام (٥١٠هـ/١١١٦م) للتوقيع على هذه المُعاهدة والتي تضمَّنت الشروط الآتية[١]:

- وقف غارات السَّلاجقة على الرعايا البيزنطيِّين.
- احترام الحدود الفاصلة بين الدولتين.
- وقف القتال وإحلال السَّلام بين الدولتين.

وتُضيف أنا كومنينا شرطًا آخر؛ وهو انسحابُ السَّلاجقة إلى الحدود التي كانت قبل معركة ملاذكرد عام (٤٦٣هـ/١٠٧١م)[٢].

وقد يبدو هذا الشرط مُبالغًا فيه، ولا يُمكن قبولُه، ولم يُذكَر في مصادِرَ أخرى. ولعلَّها أرادت رفعَ شأن الإمبراطور البيزنطيِّ، وأنه فرضت شروطًا قاسيةً على دولة سلاجقة الروم.

لكن ما يُمكن قبولُه هو المُوافقة على وقف القتال، واحترام الحدود، وإحلال السَّلام بين الدولتين بعضًا من الوقت، وعدم التعرُّض للرعايا المسيحيِّين[٣].

مدى استفادة الطرفين من المُعاهدة.

لم يُمهل القدرُ السلطانَ ملكشاه للاستفادة من هذه المُعاهدة، حيث لم يَمْضِ وقتٌ طويلٌ على توقيعها حتى دبَّر له أخوه مسعود مُؤامرةً للقضاء عليه، وتمَّ قتلُه في العام نفسه (٥١٠هـ/١١١٦م)[٤].

---

(١) كومنينا: ألكسياد: ص٦١٢؛ طقوش: تاريخ سلاجقة الروم: ص١١٧؛ أحمد توني: الحياة السِّياسيَّة: ص١٨١.

(٢) ألكسياد: ص٦١٢.

(٣) كومنينا: المصدر نفسه: ص٦١٢؛ طقوش: المرجع نفسه: ص١١٧؛ أحمد توني: المرجع نفسه: ص١٨١.

(٤) كومنينا: المصدر نفسه : ص٦١٢ـ٦١٤؛ ابن العبري: تاريخ الزمان: ص١٣٢.

أمَّا الإمبراطور البيزنطيُّ ألكسيوس كومنين، فتذكر كومنينا: أنه بعد ثمانيةَ عشرَ شهرًا من توقيع المُعاهدة، وبعد عودته من إحدى حملاته اشتدَّ عليه المرض ولم يمكثْ في مرضه سوى ستة أشهر ثم تُوفِّيَ عام (٥١٢هـ/١١١٨م) تاركًا عرش الدولة البيزنطيَّة لولده يوحنا الثاني كومنين[١] (٥١٢-٥٣٨هـ/١١١٨-١١٤٣م) والذي تُسمِّيه كومنينا جون[٢] أو جان في بعض المراجع[٣].

وبوفاة الإمبراطور البيزنطيِّ ألكسيوس كومنين يُطوى عصرٌ مهمٌّ من عصور الدولة البيزنطيَّة حاول خلالَه صدَّ الأخطار التي حاقت بدولته، وأنْ يُعيد لها بالحرب والسِّياسة والخديعة بعض الأراضي التي كانت قد فقدتها، كما أعاد للدولة البيزنطيَّة جانبًا من عَظمتها القديمة[٤].

(١) نورمان بينز: الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة: ص٦٨؛ إسحاق عبيد: روما وبيزنطة: ص١٥٥.

(٢) ألكسياد: ص٦٣٦.

(٣) كلود كاهن (ت١٤١٢هـ/١٩٩١م): الشرق والغرب زمن الحروب الصليبيَّة: ترجمة/ أحمد الشيخ، دار سينا – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، ص١٢١، ١٢٢.

(٤) عمران: معالم تاريخ الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة: ص٢٧٠.

الفصل الثاني: مُعاهدات الصلح خلال الفترة (٥١٠-٥٧٢هـ/١١١٦-١١٧٦م)

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المُعاهدات خلال الفترة (٥١٠-٥٥٠هـ/١١١٦-١١٥٥م)

المُعاهدة الأولى عام (٥٢٠هـ/١١٢٦م)

طرفَا المُعاهدة:

- السلطان مسعود الأول (٥١٠-٥٥١هـ/١١١٦-١١٥٥م).
- الإمبراطور البيزنطي يوحنا الثاني كومنين (٥١٢-٥٣٨هـ/١١١٨-١١٤٣م).

سبب المُعاهدة:

رغبة الطرفين في إبرام هذه المُعاهدة لكي يتفرَّغوا لمشاكلهم الأخرى.

تفاصيل المُعاهدة:

بعد أنْ وَلِيَ السلطان مسعود عرشَ دولة سلاجقة الروم استهلَّ نشاطَهُ باستعادة السَّيطرة على بعض المناطق التي استولى عليها البيزنطيُّون قبل ذلك، وقد تمكَّن مسعود من قطع اتِّصال الدولة البيزنطيَّة لبعض مُمتلكاتها في الشرق إلا عن طريق البحر(١).

كما نجح السلطان مسعود في استعادة مدينتي لادوقية وسوربولس، وتمكَّن من إغلاق الطرق المُؤدِّية إلي قيليقية وشمال الشام أمام البيزنطيِّين، ممَّا أدَّى إلى توتُّر العلاقات بين الطرفين(٢).

أمَّا الإمبراطور البيزنطي يوحنا كومنين الذي تولَّى عرش الإمبراطوريَّة عقب وفاة والده فلم يقفْ مكتوفَ الأيدي إزاء هذه الأعمال، فجهَّز جيشًا وخرج لاستعادة كلِّ هذه

---

(١) عمران: السِّياسة الشرقيَّة: ص٥٣؛ طقوش: تاريخ سلاجقة الروم: ص١٢٦.

(٢) أحمد توني: الحياة السِّياسيَّة: ص١٨٢.

المناطق التي استولى عليها السَّلاجقة، ونجح في ذلك، بل إنه فَتَح الطريق أمامه نحو أنطاكية، كما استولى على ثلاث قلاع(١).

وفي عام (٥١٧هـ/١١٢٣م) عاود السَّلاجقةُ هجومَهم مرَّةً أخرى على أملاك الدولة البيزنطيَّة، لكنَّ الإمبراطور البيزنطيَّ وَقَف لهم بالمرصاد وأجبرهم على التراجُع، كما أغار على قبائل السَّلاجقة الرُّحَّل، وألزم عددًا منهم بالدخول في طاعته(٢).

لم يستمرّ هذا التوتُّر بين الطرفين طويلًا، فسرعان ما عاد الهدوءُ بينهما؛ وذلك بسبب الأخطار التي أحاطت بكلٍّ منهما، فالإمبراطورُ البيزنطيُّ رأى في تهديدات الدانشمنديِّين خطرًا على مُمتلكاته في آسيا الصغرى(٣)، أمَّا السَّلاجقة فقد دبَّ الصِّراع على العرش بينهم، فقام عرب شقيق السلطان مسعود بالخروج عليه وعزله، فلم يجدْ بدًّا من الاستعانة بالإمبراطور الذي رحَّب على الفور لكي يتفرَّغ هو الآخر لمُواجهة الأخطار الأخرى(٤).

مدى استفادة الطرفين من المُعاهدة.

أولًا: استفادةُ السلطان مسعود.

أمام هذا التمرُّد الذي قام به عرب شقيق السلطان وأدَّى إلى عزله، فإنه لم يَجِدْ بدًّا من عقد المُعاهدة والتحالُف مع الإمبراطور البيزنطيِّ لمُساعدته في التغلُّب على أخيه، ورحَّب الإمبراطور بذلك، وكان ذلك سببًا في انتصار السلطان مسعود على

---

(١) لم تَذْكر المصادر المُتاحة أسماء هذه القلاع. ابن العبري: تاريخ الزمان: ص١٣٧، ١٣٨؛ عمران: المرجع نفسه: ص٥٣؛ طقوش: المرجع نفسه: ص١٢٦.

(٢) عمران: السِّياسة الشرقيَّة: ص٥٣؛ طقوش: تاريخ سلاجقة الروم: ص١٢٧.

(٣) أحمد توني: الحياة السِّياسيَّة: ص١٨٢.

(٤) أسد رستم: الروم: ج٢ ص١٤١، ١٤٢؛ عمران: المرجع نفسه: ص٥٣، ٥٤؛ أحمد توني: المرجع نفسه: ص١٨٢.

أخيه عرب واستعادة عرشه بِفَضْل المُساعدات التي قدَّمها له الإمبراطورُ البيزنطيُّ والدانشمنديُّون[١]، وفي الوقت نفسه ازداد نفوذ بني دانشمند وتمكَّن أميرُهم [٢] من توسيع رقعة أملاكه في الشرق على حساب سلاجقة الروم، وفي الشمال على حساب الدولة البيزنطيَّة، وأصبح يُشكِّل خطرًا على الدولتين[٣].

كما كان من استفادة السَّلاجقة تغيُّر ميزان القوى لصالح دولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى؛ وذلك بسبب الضَّعف الذي انتاب إمارة بني دانشمند بعد عام (٥٣٧هـ/١١٤٣م)[٤]، وكان استيلاء السلطان مسعود على مُعظم بلادهم من العام نفسه (٥٣٧هـ/١١٤٣م) من العوامل التي زادت من قوَّة سلاجقة الروم[٥].

ثانياً: استفادة الإمبراطور يوحنا كومنين.

بعد توقيع المُعاهدة سعى الإمبراطور إلى تقويض نفوذ بني دانشمند على ساحل البحر الأسود؛ خوفًا من تهديدهم لدولته، وسيطرتهم على الطرق التِّجاريَّة المُؤدِّية إليها، فاستغلَّ العداء الناشئ بين سلاجقة الروم وبني دانشمند بسبب استيلائهم على ملطية من أيدي السَّلاجقة، ونجح خلال الفترة (٥٢٦-٥٣١هـ/١١٣٠-١١٣٥) في

---

(١) ابن العبري: تاريخ الزمان: ص١٤١؛ أسد رستم: الروم: ج٢/ ص١٤١، ١٤٢؛ عمران: المرجع نفسه: ص٥٤؛ أحمد توني: المرجع نفسه: ص١٨٤.

(٢) محمد بن غازي بن دانشمند (٤٩٥ـ٥٣٧هـ/١١٠٢ـ١١٤٣م) (المحيميد: الدانشمنديون: ص٥٤ـ٥٧).

(٣) أسد رستم: الروم: ج٢/ ص١٤٢؛ عمران: المرجع نفسه: ص٥٤؛ أحمد توني: المرجع نفسه: ص١٨٣.

(٤) ضَعُفت إمارة بني دانشمند بعد وفاة محمد بن غازي عام (٥٣٧هـ/١١٤٣م). (ابن الأثير: الكامل: ج٩/ ص١٢٥).

(٥) ابن الأثير: الكامل: ج٩/ ص١٢٥؛ المحيميد: الدانشمنديون: ص١١٣؛ أحمد توني: الحياة السِّياسيَّة: ص١٨٥.

تحقيق عدَّة انتصاراتٍ على بني دانشمند واسترداد بعض الأراضي المفقودة[١]، كما حاول مدَّ نفوذه إلى بلاد الشام فخَرَجَ في عام (٥٣٢هـ/١١٣٧م) لاستعادة أنطاكية، فواصَلَ زحفَهُ إليها، وما إنْ وصل إليها حتى التقى بأميرها[٢] الذي أقسم له يمين الطاعة والولاء[٣]، وبعد أنْ قَضى بعض الوقت في بلاد الشام قرَّر العودةَ إلى القسطنطينيَّة[٤].

ومن وجهةِ نظري أنَّ الذي ساعد الإمبراطورَ على تحقيق أهدافه هو ذلك الصِّراع الذي نشب بين آل دانشمند بعضهم بعضًا، وتحالُفه مع السلطان مسعود لصدِّ هذا الخطر المُشترك بينهما، ولذلك يمكن القولُ: إنَّ الطرفين استفادًا من توقيع هذه المُعاهدة.

---

(١) عمران: السِّياسة الشرقيَّة: ص٥٤؛ أحمد توني: المرجع نفسه: ١٨٥.

(٢) هو ريموند الثاني دي بواتيه، كان أمير إمارة أنطاكية خلال الفترة (٥٣١ ـ ٥٤٤هـ/١١٣٦ـ١١٤٩م) كان أصغر أبناء ويليام الرابع دوق أنطاكية، قتل ريموند في معركة إنب عام (٥٤٤هـ/١١٤٩م) التي جَرَتْ بينه وبين نور الدين زنكي (وليم الصوري، ت٥٨٠هـ/١١٨٤م): الحروب الصليبيَّة: ترجمة/ حسن حبشي، الهيئة المصريَّة للكتاب – القاهرة، ١٩٩٢م، ج٣/ ص٣٢٣، ٣٢٤).

(٣) رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبيَّة: ج٢/ ص٢٤٨؛ أسد رستم: الروم: ج٢/ ص١٤٣؛ أحمد توني: المرجع نفسه: ١٨٥.

(٤) رانسيمان: المرجع نفسه: ج٢/ ص٢٥٣؛ إسحاق عبيد: روما وبيزنطة: ص١٦٠؛ أحمد توني: المرجع نفسه: ١٨٥.

المُعاهدة الثانية عام (٥٢٩هـ/١١٣٤م)

طرفَا المُعاهدة:

- السلطان مسعود الأول (٥١٠-٥٥١هـ/١١١٦-١١٥٥م).
- الإمبراطور البيزنطي يوحنا الثاني كومنين (٥١٢-٥٣٨هـ/١١١٨-١١٤٣م).

سبب المُعاهدة:

رغبة الطرفين في إبرام هذه المُعاهدة للتغلُّب على بعض المشاكل (الأخطار) التي طرأت عليهما والمُتمثِّلة في: خطر عرب شقيق السلطان مسعود، وخطر الأرمن بالنِّسبة للدولة البيزنطيَّة [١].

تفاصيل المُعاهدة:

كان السلطان مسعود قد انتصر على شقيقه عرب بمُساعدة الإمبراطور البيزنطيِّ كما تقدَّم سابقًا، غير أنَّ عرب بعد هزيمته كان قد لجأ إلى القسطنطينيَّة [٢].

خشي السلطان مسعود من قيام الإمبراطور يوحنا بتقديم المُساعدة لشقيقه عرب وإعادته إلى عرش السَّلاجقة، فأراد بتلك المُعاهدة قطْعَ الطريق أمام الإمبراطور للإقدام على هذه الخطوة، وشاعت الأقدارُ أنْ يظلَّ عرب في القسطنطينيَّة حتى وفاته[٣].

---

(١) محمد صالح الزيباري: سلاجقة الروم في آسيا الصغرى: دار دجلة ـ بغداد – العراق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م، ص٢١٠.

(٢) رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبيَّة: ج٢/ ص٢٤٦؛ أسد رستم: الروم: ج٢/ ص١٤٢؛ أحمد توني: الحياة السِّياسيَّة: ص١٨٤.

(٣) رانسيمان: المرجع نفسه: ج٢/ ص٢٤٦؛ طقوش: تاريخ سلاجقة الروم: ص ١٢٢؛ الزيباري: سلاجقة الروم: ص٢٠٩؛ أحمد توني: المرجع نفسه: ص١٨٤.

أمَّا الإمبراطور البيزنطيُّ، فقد أراد بهذه المُعاهدة التفرُّغَ لقتال الأرمن[١].

على كلِّ حال عُقدت هذه المُعاهدة عام (٥٢٩هـ/١١٣٤م)، ولم تَذكُر المصادر المُتاحة شروطَها، ويبدو أنها كانت طارئةً لتحقيق هدفٍ مُعيَّن لكلا الطرفين، ولذلك فإنها لم تَدُمْ طويلًا، ولم يَستفِدْ منها أحدٌ؛ إذ سرعان ما تمَّ خرقُها من جانب الإمبراطور البيزنطيِّ، فبدأ هجومه داخل آسيا الصغرى منذ عام (٥٣٤هـ/١١٤٠م) بهدف السيطرة على نيكسار عاصمة بني دانشمند أولًا ثم مُهاجمة قونية عاصمة سلاجقة الروم، وقام الإمبراطورُ بمُحاصرة نيكسار فتعرَّضُوا لمُقاومةٍ عنيفةٍ كانت سببًا في طول أمد الحصار، وبالتالي تكبّد الإمبراطور خسائرَ فادحةً، واضطرَّ إلى العودة إلى عاصمته القسطنطينيَّة عن طريق البحر؛ خوفًا من التعرُّض لهجمات السَّلاجقة[٢]، وقد ذكرتُ سابقًا أنَّ الإمبراطور خلال الفترة (٥٢٦-٥٣١هـ/١١٣٠-١١٣٥م) أحرز عدَّة انتصاراتٍ على الدانشمنديين، وحاول مَدَّ نفوذه إلى بلاد الشام، وخرج في عام (٥٣٢هـ/١١٣٧م) لاستعادة أنطاكية، فوصل إليها، وأقسم له أميرُها يمينَ الطاعة والولاء[٣]، وقضى بعض الوقت في بلاد الشام ثم عاد إلى القسطنطينيَّة[٤]. وفي عام (٥٣٧هـ/١١٤٢م) حاول العودةَ إلى بلاد الشام إلا أنه فَقَدَ حياتَه بسبب سهم مسموم أصابه أثناء صيدِه في بداية عام (٥٣٨هـ/١١٤٣م)[٥].

---

(١) رانسيمان: المرجع نفسه: ج٢/ ص١٤٧؛ الزيباري: المرجع نفسه: ص٢١٠؛ أحمد توني: المرجع نفسه: ص١٨٣.

(٢) الزيباري: سلاجقة الروم: ص٢١٠.

(٣) رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبيَّة: ج٢/ ص٢٤٨؛ أسد رستم: الروم: ج٢/ ص١٤٣؛ أحمد توني: الحياة السِّياسيَّة: ١٨٥.

(٤) إسحاق عبيد: روما وبيزنطة: ص١٦٠؛ أحمد توني: الحياة السِّياسيَّة: ١٨٥.

(٥) أسد رستم: المرجع نفسه: ج٢/ ص١٤٤؛ طقوش: تاريخ سلاجقة الروم: ص١٢٨؛ أحمد توني: المرجع نفسه: ص١٨٥.

المُعاهدة الثالثة (٥٤٢هـ/١١٤٧م)

طرفَا المُعاهدة:

- السلطان مسعود (٥١٠-٥٥٠هـ/١١١٦-١١٥٥م).
- الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين (٥٣٨-٥٧٦هـ/١١٤٣-١١٨٠م).

سبب المُعاهدة:

أدَّى قدوم الحملة الصليبيَّة الثانية إلى تقارُب وجهات النَّظر بين الطرفين لإنهاء الصِّراع بينهما وعقد مُعاهدة سلام[١].

التفاصيل:

بعد وفاة الإمبراطور يوحنا كومنين عام (٥٣٨هـ/١١٤٣م) ارتقى ابنه مانويل عرش الإمبراطورية البيزنطيَّة، بينما كان السلطان مسعود ما يزال مُتربِّعًا على عرش دولة سلاجقة الروم، وقد توتَّرت العلاقات بين الطرفين في بداية حكم مانويل عندما قام السلطان مسعود بمُهاجمة مدينة مالاجنا القريبة من نيقية، كما استولى على حصن بركانا بقيليقية عام (٥٤٠هـ/١١٤٥م)، وبذلك أغْلَق سلاجقة الروم الطريقَ المُؤدِّيَ إلى بلاد الشام أمام البيزنطيِّين، ونتيجةً لذلك أعلن الإمبراطور البيزنطيُّ الحربَ على السلطان مسعود عام (٥٤١هـ/١١٤٦م) وزَحَفَ بجيشه نحو قونية عاصمة السَّلاجقة، فبلغ ضواحيها، وضَرَبَ حولها الحصار، وقام جنودُهُ بأعمال السلب والنهب، وطال أمد الحصار، فأمر مانويل جنودَهُ بالاستعداد للانسحاب خاصَّةً بعد أنْ تواترت الأنباءُ بقدوم حملةٍ صليبيَّةٍ جديدةٍ إلى الشرق (الحملة الصليبيَّة الثانية) وقربها من القسطنطينيَّة، فخشي مانويل على عاصمته من أعمال العنف التي يتَّسم بها الصليبيُّون، فقرَّر العودة إلى القسطنطينيَّة[٢].

---

(١) أحمد توني: الحياة السِّياسيَّة: ص١٨٥.

(٢) عمران: السِّياسة الشرقيَّة: ص١٢٣.

كان لتواتُر الأنباء بقدوم حملةٍ صليبيَّةٍ جديدةٍ أثرٌ فعالٌ في عودة علاقات الوفاق والتقارُب بين سلاجقة الروم والبيزنطيِّين، فالسلطان مسعود كان يخشى من تكوين تحالُفٍ بيزنطيٍّ صليبيٍّ كما حدث أثناء الحملة الأولى، أمَّا بالنِّسبة للإمبراطور مانويل فكان يخشى على عاصمته من الصليبيِّين، إضافةً إلى موقف عمِّه إسحاق الذي كان يتمنَّى وفاته أثناء حروبه للاستيلاء على عرش الإمبراطوريَّة، فكان على مانويل الوصولُ إلى القسطنطينيَّة في أسرع وقتٍ مُمكن، وبذلك تلاقت رغبة الطرفين لعقد مُعاهدة سلام(١).

عَرَض السلطان مسعود فكرةَ عقد مُعاهدةٍ على الإمبراطور الذي وافق عليها، وعُقدت بين الطرفين عام (٥٤٢هـ/١١٤٧م) وكان شرطُها:

– أنْ يُعيد السَّلاجقة مدينة براكانا وسائر المدن البيزنطيَّة التي استولى عليها السَّلاجقة في الحروب الأخيرة(٢).

ويرى البعضُ أنَّ الإمبراطور مانويل هو الذي طَلَب عقد هذا الصلح والعودة إلى القسطنطينيَّة؛ خوفًا من نوايا قادة الحملة الصليبيَّة الثانية، مُقابل أنْ يُعيد للسَّلاجقة كلَّ الأراضي التي استولى عليها(٣).

وسواءً أكان الإمبراطور هو الذي طلب الصلح أم السلطان مسعود، فإنَّ رغبة الطرفين تلاقت لعقد هذه الهدنة بسبب الأخطار التي أحاطت بهما، فالسلطان مسعود كان مُحاصرًا في عاصمته قونية، وقد طال أمد الحصار، وربَّما كان مُتخوِّفًا من نفاد الطعام والمُؤَن إن استمرَّ الحصار أكثرَ من ذلك، فضلًا عن خوفه من تحالُف

(١) رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبيَّة: ج٢/ ص٣٠٩؛ عمران: السِّياسة الشرقيَّة: ص١٢٣.

(٢) عمران: المرجع نفسه: ص١٢٤.

(٣) محمد مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة: ص٣٦٠؛ الزيباري: سلاجقة الروم: ص٢١١.

الصليبيِّين والبيزنطيِّين، أمَّا الإمبراطور مانويل فكانت مشاكلُه كثيرة، أهمُّها تخوُّفه من عمِّه إسحاق وتطلُّعه إلى عرش الإمبراطوريَّة، وتخوُّفه من قدوم الحملة الصليبيَّة الثانية التي قد تُلحق ضررًا بعاصمته، ولذلك أسرع الطرفان إلى طلب الصلح للاستفادة منها.

مدى استفادة الطرفين من المُعاهدة:

بالنِّسبة للسلطان مسعود فإنه استفاد من هذه المُعاهدة، فلم يدخلْ في صراعٍ مع البيزنطيِّين، وإنما وجَّه جهودَه نحو بلاد الشرق، فاستولى على مرعش[١] التابعة لجوسلين الثاني[٢] حاكم الرها، كما طَارَدَهُ حتى وصل إلى أطراف تل باشر[٣].

عاد السلطان مسعود بعد ذلك إلى بلاده، وقام بمُهاجمة جيوش الحملة الصليبيَّة الثانية أثناء عبورهم آسيا الصغرى والقضاء على الجيش الألمانيِّ[٤].

---

(١) مرعش: مدينة حصينة بالثغور بين الشام وبلاد الروم، ولها حصن وخندق. (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج٥/ ص١٠٧) واليوم هي مدينة تركيَّة جبليَّة تقع بين قيليقية والأناضول جنوب تركيا. (يحيى شامي: موسوعة المدن: ص٣٢٢، موقع الموسوعة الحرَّة).

(٢) جوسلين الثاني بن جوسلين الأول حاكم الرها، كان الأمير الرابع والأخير لكونتية الرها كان قد أسر في معركة أعزاز التي وقعت بين السَّلاجقة بقيادة أق سنقر البرسقي وبين الصليبيِّين عام (٥١٩هـ/١١٢٥م) ثم أطلق سراحه بعد أن افتداه بلدوين الثاني سنة (٥٢٦هـ/١١٣١م) وحاول استعادة الرها من نور الدين زنكي إلا أنه وقع في الأَسْر مرَّة أخرى، وظلَّ أسيرًا حتى وفاته (٥٥٥هـ/١١٥٩م). (ابن القلانسي: تاريخ دمشق: صفحات متفرِّقة؛ ابن الأثير: الكامل: ج٩، صفحات متفرِّقة؛ ابن العديم: زبدة الحلب: ص٣٤١).

(٣) تل باشر: قلعة حصينة وكورة واسعة شمالي حلب. (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج٢/ ص٤٠)، وهي اليوم موقعٌ أثريٌّ ومركز يتبع محافظة عينتاب في تركيا. (موقع الموسوعة الحرَّة).

(٤) وليم الصوري: الحروب الصليبيَّة: ج٣/ ص٢٧٧، ٢٧٨؛ رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبيَّة: ج٢/ ص٣١١.

أمَّا بالنِّسبة للإمبراطور البيزنطيِّ مانويل كومنين فإنه ظلَّ مُقيمًا في عاصمته القسطنطينيَّة ولم يخرج منها خوفًا من أنْ يتركَها فريسةً لأعدائه الخارجيِّين الذين يتربَّصون بالإمبراطوريَّة، إضافةً إلى أعدائه بالداخل الطامعين في الاستيلاء على العرش(١) .

ظلَّت العلاقات بين سلاجقة الروم والبيزنطيِّين هادئةً منذ عقد هذه الاتِّفاقيَّة عام (٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) وحتى وفاة السلطان مسعود عام (٥٥٠هـ/١١٥٥م) (٢).

(١) كان يُهدِّد الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة في هذا الوقت كثيرٌ من المُتربِّصين بها كالسَّلاجقة والصليبيِّين والنورمان؛ لذا لم يكنْ من المعقول أنْ يتركَ مانويل العاصمة خلال هذه الفترة. (عمران: السِّياسة الشرقيَّة: ص١٣٢).

(٢) ابن القلانسي: تاريخ دمشق: ص٥١٠؛ ابن العبري: تاريخ الزمان: ص١٦٩.

المبحث الثاني

المُعاهدات خلال الفترة (٥٥٠-٥٧٢هـ/١١٥٥-١١٧٦م)

المُعاهدة الأولى عام (٥٥٣هـ/١١٥٨م)

طرفَا المُعاهدة:

- السلطان قلج أرسلان الثاني (٥٥٠-٥٨٨هـ/١١٥٥-١١٩٢).
- الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين (٥٣٨-٥٧٦هـ/١١٤٣-١١٨٠م).

سبب المُعاهدة:

عُقدت هذه المُعاهدة بناءً على طلب الإمبراطور البيزنطيِّ لرغبته في التفرُّغ لمُحاربة الأرمن إضافةً إلى تزايُد خطر نور الدين محمود(١).

التفاصيل:

تولَّى السلطان عز الدين قلج أرسلان الثاني سلطنة سلاجقة الروم خلفًا لوالده السلطان مسعود عام (٥٥١هـ/١١٥٦م)، وقد واجه السلطان قلج أرسلان في بداية حكمه العديد من المشاكل، منها: تمرُّد أخيه شاهنشاه، وطمع الدانشمنديِّين والزنكيِّين في أملاكه، إضافةً إلى أطماع الإمبراطور البيزنطيِّ الذي قرَّر العمل على استعادة أملاك الدولة البيزنطيَّة في آسيا الصغرى بعد وفاة السلطان مسعود، فاستولى البيزنطيُّون على بعض المناطق التابعة لدولة السَّلاجقة، أمَّا السلطان قلج أرسلان الثاني فقام بمُهاجمة أملاك الدولة البيزنطيَّة، واستولى على بعض المدن الواقعة في الجنوب الشرقيِّ من آسيا الصغرى(٢).

رأى الإمبراطور البيزنطيُّ أنَّ الخطر يُحيط به من جميع الجهات، ولن يستطيع أنْ يخوضَ حربًا في عدَّة جهاتٍ مُختلفةٍ مع السَّلاجقة والأرمن، إضافةً إلى ازدياد

---

(١) أحمد توني: الحياة السِّياسيَّة: ص١٨٧.

(٢) عمران: السِّياسة الشرقيَّة: ص٢٢٤.

خطر نور الدين زنكي، فقرَّر عقد مُعاهدة صلح مع السَّلاجقة حتى يتفرَّغ للأخطار الأخرى، أمَّا السلطان قلج أرسلان الثاني فقد رحَّب بِعَقْد هذه المُعاهدة حتى يستطيعَ هو الآخر مُواجهة مشاكله الداخليَّة والخارجيَّة، وبالفعل تمَّ عقدُ المُعاهدة في مُنتصف عام (٥٥٣هـ/١١٥٨م)، وقد ضحَّى الإمبراطور مانويل كومنين بدفع بعض الأموال والهدايا لعقد هذا الصلح مع السَّلاجقة وإرضائهم ليكونوا حاجزًا بينه وبين الأرمن[١].

لم تُشِرْ المصادرُ والمراجعُ المُتاحة شروطَ هذه المُعاهدة، ويبدو أنها كانت مُؤقَّتةً من جانب الإمبراطور للقضاء على الأخطار المُحيطة به.

مدى استفادة الطرفين من المُعاهدة:

أولاً: استفادة الإمبراطور البيزنطيِّ.

بعد أنْ عَقد مانويل كومنين هذه المُعاهدة مع السلطان قلج أرسلان الثاني، شَرَع في الزحف إلى قيليقية لإخضاع الأمير ثوروس[٢] والأمير رينو دي شاتيون[٣] الذي كان

---

(١) عمران: السِّياسة الشرقيَّة: ص٢٢٥؛ طقوش: تاريخ سلاجقة الروم: ص١٦٥.

(٢) ثوروس الثاني أو طوروس: أحد أمراء الأرمن والحاكم السادس لأرمينية الصغرى حكم خلال الفترة (٥٤٠ـ٥٦٥هـ/١١٤٥ـ١١٦٩) وقع في الأسر هو ووالده عام (٥٣٢هـ/١١٣٧م) على يد الإمبراطور البيزنطيِّ يوحنا الثاني كومنين لكنه نجح في الهروب عام (٥٣٩هـ/١١٤٤م) فالتفَّ حوله بعض الأمراء ورجال الدِّين، وأمدُّوه بالسِّلاح وساعدوه في الوصول إلى أرمينية الصغرى، ونجح في تأسيس الدولة الأرمينية من جديد عام (٥٤٠هـ/١١٤٥م) بعد أنْ ظلَّت خاضعةً للبيزنطيِّين فترةً طويلةً، ونجح في تحقيق انتصاراتٍ عديدةٍ على البيزنطيِّين، وفي آخر حياته قام بتنصيب ابنه روبين الثاني خلفًا له، وقد تُوفِّيَ ثوروس عام (٥٦٥هـ/١١٦٩م). (استارجيان: تاريخ الأمة الأرمينية:مطبعة الاتِّحادـالموصلـالعراق، ١٩٥١م، ص٢١١ـ٢١٤).

(٣) رينو دي شاتيون: وتُسمِّيه المصادر العربيَّة أرناط، أحد الفرسان الفرنسيِّين الذين شاركوا في الحملة الصليبيَّة الثانية، التحق في البداية بخدمة بلدوين الثالث ملك بيت المقدس، ثم التحق بخدمة الأميرة كونستانزا حاكمة أنطاكية، فتزوَّجها وأصبح حاكم إمارة أنطاكية سنة خلال الفترة (٥٤٨ـ٥٥٥هـ/ ١١٥٣ـ١١٦٠م). كان أرناط من أشدِّ الصليبيِّين عداوةً للمُسلمين، ولذلك كان ←←←

قد تمرَّد على الإمبراطوريَّة، وقام بمُهاجمة أملاكها(١).

تحرَّك الإمبراطور بقوَّاته، فوصل إلى قيليقية في الثامن من ذي القعدة/ الأول من ديسمبر من عام (٥٥٣هـ/١١٥٨م)، فلم يكنْ أمام أميرها ثوروس سوى الفرار أمام جيش الإمبراطور البيزنطي(٢).

غير أنه بعد استيلاء الأخير على قيليقية وبعض المناطق التي كان ثوروس قد استولى عليها تخوَّف من عودته ومُهاجمته، فعَسْكَر بقوَّاته في المصيصة القريبة من أنطاكية؛ انتظارًا لقدوم ثوروس أمير قيليقية الذي كان قد لجأ إلى رينو دي شاتيون أمير أنطاكية، وحاول الاثنان الصلحَ مع الإمبراطور الذي رَفَض في بداية الأمر، لكنه وَافَق بعد أنْ ذهب رينو طالبًا عفوَهُ مُقابل تسليمه قلعة أنطاكية، كما توسَّط بلدوين الثالث ملك بيت المقدس لدى الإمبراطور للعفو عنه، وبالفعل عفا عنه بعد أنْ ظهر أمامه حافِيَ القدمين يرتدي ثيابًا باليةً خشنة، ثم طَرَحَ نفسَهُ أرضًا عند موطئ قدمَيْ

→→→

دائمَ الإغارة على مُمتلكاتهم في الشام من أجل السرقة والنهب، ونتيجةً لهذه الأعمال وَقَعَ في أسْر نور الدين محمود، وظلَّ في السجن خلال الفترة (٥٥٥ـ٥٧٢هـ/ ١١٦٠ـ١١٧٦م). وبعد وفاة نور الدين عام (٥٦٩هـ/١١٧٤م) تمَّ إطلاق سراحه عام (٥٧١هـ/١١٧٦م)، ثم كافأه ملك بيت المقدس بلدوين الرابع بإمارة حصن الكرك. قُتل أرناط على يد صلاح الدين الأيوبيِّ بعد أنْ تمَّ أسْرُه في موقعة حطين عام (٥٨٣هـ/١١٨٧م). (ابن الأثير: الكامل: ج١٠/ صفحات متفرقة؛ ابن العديم: زبدة الحلب: صفحات متفرقة؛ ابن خَلِّكان: وفيات الأعيان: ج٧/ ص١٧٦، ١٧٧، ١٩٣؛ العيني، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م): عِقْد الجُمَان في تاريخ أهل الزمان ـ عصر سلاطين المماليك [٦٤٨ـ٧١٢هـ]: تحقيق/ محمد أمين ـ مطبعة دار الكتب والوثائق القوميَّة – القاهرة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ج١/ ص٢٦٠، هامش٧.

(١) وليم الصوري: الحروب الصليبيَّة: ج٣/ ص٤٠١؛ رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبيَّة: ج٢/ ص٤٠١؛ أسد رستم: الروم: ج٢/ ص١٤٧؛ عمران: المرجع نفسه: ص٢٢٤.

(٢) وليم الصوري: الحروب الصليبيَّة: ج٣/ ص٤٢٨، ٤٢٩؛ استارجيان: تاريخ الأمة الأرمينية: ص٢١٣؛ عمران: السِّياسة الشرقيَّة: ص١٢٥، ١٢٦.

الإمبراطور مُعفِّرًا وجهَه في التراب، ويُقال: إنه اضطرَّ إلى زيارة قبر الإمبراطور يوحنا الثاني ورَكَعَ أمامه تكفيرًا وتعظيمًا(١).

ويرى البعض(٢) أنَّ الإمبراطور البيزنطيَّ لم يَقبَلْ العفو عن رينو إلا بثلاثة شروط:

- يقوم رينو بتسليم قلعة أنطاكية إلى حامية بيزنطيَّة متى يُطلب منه ذلك.
- يقوم رينو بتقديم بعض الوحدات العسكريَّة دعمًا للإمبراطور عند الحاجة إليها.
- أنْ يكونَ بطريرك أنطاكية من البطاركة البيزنطيِّين الأرثوذكس بدلًا من اللاتين الكاثوليك.

على كلٍّ حال، قَبِلَ رينو هذه الشروط وعفَا عنه الإمبراطور بعد أنْ أظْهَرَ فروضَ الولاء والطاعة، وامْتَثَل أمامه ذليلًا مُهانًا.

وكما فعل رينو أمام الإمبراطور مانويل كومنين، فَعَل ثوروس ذلك أيضًا وعَفَا عنه، كما قلَّده حكم الأراضي التي كانت تحت يده، ومنها قيليقية، بعد أنْ قدَّم للإمبراطور فروض الولاء والطاعة(٣).

أمَّا بالنِّسبة لموقف الإمبراطور من نور الدين زنكي، فإنه بعد إخضاع ثوروس ورينو دي شاتيون لطاعة الإمبراطور، فإنَّ الأخير تحالَفَ مع الصليبيِّين للقضاء على القوَّة الإسلاميَّة النَّاشئة والمُتمثِّلة في نور الدين محمود، أعلن الإمبراطور استعدادَ جيشِهِ لمُهاجمة حلب، وبالفعل تحرَّك بقوَّاته إلى بلاد الشام(٤) ومعه جموعُ الصليبيِّين

---

(١) وليم الصوري: المرجع نفسه: ج٣/ ص٤٣٠؛ أسد رستم: الروم: ج٢/ ص١٤٧؛ عمران: المرجع نفسه: ص٢٣٥.

(٢) رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبيَّة: ج٢/ ص٤٠٦؛ عمران: المرجع نفسه: ص٢٣٧.

(٣) عمران: المرجع نفسه: ص٢٤٣.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٨/ ص١٣٥؛ ابن القلانسي: تاريخ دمشق: ص٥٤٠؛ ابن العبري: تاريخ الزمان: ص١٧٣؛ وليم الصوري: الحروب الصليبيَّة: ج٣/ ص٤٣٥؛ عمران: السِّياسة الشرقيَّة: ص٢٥٠.

لكي يحدَّ من نفوذ نور الدين، وقد نشب القتال بين البيزنطيِّين الصليبيِّين من جهةٍ وبين نور الدين من جهةٍ أخرى، إلا أنه لم يستمرّ طويلًا، حيث دارت المُفاوضات بينهما وانتهت بعقد صلح عام (٥٥٤هـ/١١٥٩م)[١].

بعد أنْ عَقد الإمبراطور الصلحَ مع نور الدين محمود قرَّر العودة إلى القسطنطينيَّة، وأثناء عودته تعرَّض لهجوم بعض القبائل السلجوقيَّة، ويبدو أنها كانت بتحريضٍ من قلج أرسلان الثاني ردًّا على صلحه مع نور الدين محمود، ممَّا أسهم في توتُّر العلاقات مرَّةً أخرى بين الطرفين[٢].

على أيَّة حال؛ يُمكن القول: إنَّ الإمبراطور البيزنطيَّ مانويل كومنين كان المُستفِيدَ الأكبرَ من عقد مُعاهدة الصلح مع قلج أرسلان الثاني، فقد حقَّق الكثير للإمبراطوريَّة البيزنطيَّة بعد توقيعها، فتمكَّن من إخضاع الأمير ثوروس، وأذلَّ كبرياء أمراء الصليبيِّين مُتمثلًا في رينو دي شاتيون أمير أنطاكية، كما نجح في تحرير بعض الأسرى الصليبيِّين بعد عَقْد مُعاهدة صلح مع نور الدين محمود، ولذلك فإنَّ الإمبراطور البيزنطيَّ قدَّم للإمبراطوريَّة خدماتٍ جليلةً لم يُقدِّمْها أيُّ إمبراطورٍ بيزنطيٍّ آخر خلال عصر الحروب الصليبيَّة[٣].

ثانياً: استفادة قلج أرسلان الثاني.

يبدو أنَّ استفادة السلطان قلج أرسلان الثاني من هذه المُعاهدة لم تكنْ كاستفادة الإمبراطور البيزنطيِّ، فمنذ توقيع المُعاهدة عام (٥٥٣هـ/١١٥٨م) وحتى أواخر عام

---

(١) ابن القلانسي: تاريخ دمشق: ص٥٤٤؛ وليم الصوري: الحروب الصليبيَّة: ج٣/ ص٤٣٥؛ رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبيَّة: ج٢/ ص٤٠٨، ٤٠٩؛ عمران: المرجع نفسه: ص٢٥٤؛ أحمد توني: الحياة السِّياسيَّة: ص١٨٨.

(٢) عمران: معالم تاريخ الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة: ص٢٨٢، ٢٨٣؛ السياسة الشرقية: ص٢٥٩ وما بعدها؛ طقوش: تاريخ سلاجقة الروم: ص١٦٩؛ أحمد توني: المرجع نفسه: ص١٨٨.

(٣) عمران: السياسة الشرقية: ص٢٦٠.

(٥٥٤هـ/١١٥٩م) وهذا التاريخ كان بداية الإمبراطور البيزنطيِّ مانويل كومنين للقيام بأولى حملاته ضدَّ السلطان قلج أرسلان[١]، وخلال هذا العام لم تَذْكر المصادِرُ أيَّ نشاطٍ خارجيٍّ للسلطان قلج أرسلان، ولعلَّه فضَّل البقاءَ داخل عاصمته؛ لمعرفة المُؤامرات التي كانت تُحاك ضدَّه لِعَزْلِه عن العرش.

المُعاهدة الثانية عام (٥٥٧هـ/١١٦١م)

طرفَا المُعاهدة:

- السلطان قلج أرسلان الثاني (٥٥٠-٥٨٨هـ/١١٥٥-١١٩٢).
- الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين (٥٣٨-٥٧٦هـ/١١٤٣-١١٨٠م).

سبب المُعاهدة:

رغبة السلطان قلج أرسلان الثاني في عقد هذه المُعاهدة حتى لا يدخلَ في صراعاتٍ مُتعدِّدة وتتشتَّت قوَّاته بين مُحاربة البيزنطيِّين من جهة، وتزايُد خطر نور الدين محمود الذي بدأ في مُهاجمة أملاك سلاجقة الروم في آسيا الصغرى من جهةٍ أخرى، إضافةً إلى دخوله في صراع مع آل دانشمند، والمُحاولات الداخليَّة لعزله عن العرش[٢].

---

(١) رانسيمان: المرجع نفسه: ج٢/ ص٤٠٩؛ طقوش: المرجع نفسه: ص١٦٩؛ أحمد توني: المرجع نفسه: ص١٨٨.

(٢) ابن العبري: تاريخ الزمان: ص١٧٥؛ رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبيَّة: ج٢/ ص٤٠٩، ٤١٠؛ عمران: السِّياسة الشرقيَّة: ص٢٦٤، ٢٦٥؛ أحمد توني: الحياة السِّياسيَّة: ص١٨٨؛ طقوش: تاريخ سلاجقة الروم: ص١٧٠ـ١٧٢

تفاصيل المُعاهدة:

بعد أنْ حقَّق مانويل كومنين العديد من الانتصارات في بلاد الشام جاءته الأخبار من القسطنطينيَّة بأنَّ هناك مُؤامرةً تُدبَّر لعزله عن عرش الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة[١]، فأسرع بالعودة لكنه سَلَك طريقًا محفوفًا بالمخاطر، وهو الطريقُ المارُّ عبر أراضي دولة سلاجقة الروم، ولعلَّ ما جعل مانويل يسلُك هذا الطريق الوعر اعتمادُه على مُعاهدة الصلح التي كانت قد تمَّت بينه وبين السَّلاجقة عام (٥٥٣هـ/١١٥٨م)[٢].

أثناء عبور مانويل بقوَّاته عبر الأراضي السلجوقيَّة تعرَّض لبعض المُضايقات، فقد قامت بعضُ قبائل السَّلاجقة بالاعتداء على القوَّات البيزنطيَّة التي كانت تسير بغير انتظام، ولمَّا كان مانويل يريد الوصول إلى القسطنطينيَّة في أسرع وقتٍ فلم يدخلْ في صراع مع السَّلاجقة، لكنْ يبدو أنَّ مانويل وجيشه قد تعرَّض لخسائِرَ كبيرة، وقد ترتَّب على هذه الحادثة توتُّرُ العلاقات من جديد بين الطرفين[٣].

عزم الإمبراطور مانويل على الانتقام من السَّلاجقة، فبعد أنْ قضى على مشاكله الداخليَّة خرج بجيشه في أواخر عام (٥٥٤هـ/١١٥٩م) لقتال السَّلاجقة، فتوجَّه إلى بيثنيا حيث تُقيم القبائل التي كانت قد اعترضت طريقَهُ من قبل، وحقَّق عليها بعضَ الانتصارات، إلا أنه لم يلبثْ أنْ عاد إلى القسطنطينيَّة بسبب شدَّة برودة الشتاء ومرض زوجته التي توفِّيت بعد عودته[٤].

---

(١) رانسيمان: المرجع نفسه: ج٢/ ص٤٠٨. لم تَذْكر المصادر المُتاحة أيَّ معلوماتٍ عن هذه المُؤامرة سوى الإشارة إليها فقط، ولعلَّها كانت من المُؤامرات الفرديَّة التي لا وزنَ لها. (عمران: المرجع نفسه: ص٢٦٠).

(٢) رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبيَّة: ج٢/ ص٤٠٨، ٤٠٩؛ عمران: المرجع نفسه: ص٢٢٥؛ طقوش: المرجع نفسه: ص١٦٥.

(٣) عمران: السِّياسة الشرقيَّة: ص٢٦٠؛ أحمد توني: الحياة السِّياسيَّة: ص١٨٨.

(٤) عمران: المرجع نفسه: ص٢٦١.

في عام (٥٥٥هـ/١١٦٠م) عاود الإمبراطورُ البيزنطيُّ مرَّةً أخرى لمُهاجمة أملاك السَّلاجقة، ودارت المعارك بين الطرفين، وعلى ما يبدو أنَّ الإمبراطور لم ينجحْ في تحقيق نصرًا مُؤزَّرًا على السَّلاجقة، فقرَّر العودة إلى القسطنطينيَّة وفكَّر في استعمال سياسته القديمة، وهي ضربُ القوى الإسلاميَّة بعضها ببعض، فقام بتحريض آل دانشمند على قتال سلاجقة الروم، وبالفعل اشتعلت الحربُ بينهما أواخر عام (٥٥٦هـ/١١٦٠م) بعد أنْ تولَّى حكم آل دانشمند ناصر الدين محمَّد (٥٥٦-٥٦٧هـ/١١٦٠-١١٧١م)[١].

كما نجح مانويل في تحريض ياغي أرسلان[٢]، فقام بمُهاجمة مدينة ملطية[١] والاستيلاء عليها، ممَّا دفع قلج أرسلان لمُحاربته، كان ذلك في الوقت الذي قام فيه نور الدين محمود بمُهاجمة أملاك سلاجقة الروم واستولى على بعضها[٢].

---

(١) عمران: المرجع نفسه: ص٢٦٣؛ المحيميد: الدانشمنديون: ص١٢٠.

(٢) ياغي أرسلان أو بسان بن غازي بن دانشمند (٥٣٧-٥٦٠هـ/١١٤٢-١١٦٤م)، تولَّى حكم إمارة سيواس بعد وفاة أخيه محمَّد عام (٥٣٧هـ/١١٤٢م) فانقسمت الإمارة في عهده، حيث قام أخوه عين الدولة بتأسيس إمارةٍ مُستقلَّةٍ في ملطية عام (٥٣٧هـ/١١٤٢م)، كما أعلن ابن أخيه ذو النون استقلاله في قيصرية، وجرت بينه وبين قلج أرسلان حروبٌ عديدة، وفي عام (٥٥٦هـ/١١٦١م) توفِّي أمير ملطية ذو القرنين، فقام ياغي أرسلان بمُهاجمة ملطية والاستيلاء عليها، وأعلن وصايته على أميرها ناصر الدين محمَّد، ممَّا استدعى قلج أرسلان لمُحاربته؛ لعدم ازدياد نفوذه واتِّساع أملاكه، ولأنَّ ملطية في ذلك الوقت كانت تحت حماية السَّلاجقة، وفي عام (٥٥٨هـ/١١٦٢م) عرض ياغي أرسلان إقامةَ هُدنةٍ بينهما فقَبِلَ السلطان، واستمرَّت العلاقات بينهما هادئةً حتى عام (٥٦٠هـ/١١٦٤م)؛ إذ وقع القتال بينهما مرَّة أخرى، وفي هذا العام توفِّي ياغي أرسلان، وولي بعده ابنُ أخيه إبراهيم بن محمَّد، فصالَحَهُ قلج أرسلان. (ابن الأثير: الكامل: ج٩/ ص٣٢٠، ٣٢١؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد قَايْماز (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م): العِبَر في خبر مَن غَبَر: تحقيق/ محمَّد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج٣/ ص٣٤؛ العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي ←←←

أمام هذه الصِّراعات لم يكنْ في استطاعة قلج أرسلان مُحاربة كلِّ هذه القُوَى؛ لذا رأى أنه من الحكمة أنْ يجنحَ إلى الصلح مع هذه القوى كلِّها أو بعضها إنْ أمكن ذلك، فبدأ بنور الدين محمود وعَقَد معه مُعاهدة صلح استَعاد بها السَّلاجقةُ المدنَ التي كان نور الدين قد استولى عليها، كما عقد مُعاهدةَ صلحٍ أخرى مع ياغي أرسلان استولى الأخيرُ بمُقتضاها على مدينة الأبلستين[٣] والمناطق المُحيطة بها[٤].

بعد أن انتهى قلج أرسلان من عقد هذه المُعاهدات بدأ بإجراء مُباحثاتٍ لتجديد الصلح مع الإمبراطور البيزنطيِّ مانويل كومنين، إلا أنَّ الأخير رفض وقام بمُهاجمة السَّلاجقة، وأحرز عليهم عدَّة انتصاراتٍ، ممَّا اضطرَّ السلطان قلج أرسلان إلى طلب الصلح مرَّةً أخرى، وتعهَّد بإعادة جميع الأسرى البيزنطيِّين الذين تمَّ أسرُهم من جانبه[٥].

→→→

(ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: المجمع الثقافي ـ أبو ظبي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ، ج٢٧/ ص٨٠؛ المحيميد: الدانشمنديون: ص٥٨ـ٦٠، ص١٢٠ـ١٢٣).

(١) مَلَطْيَةُ: بلدة مشهورة قريبة من بلاد الشام، بُنيت عام ١٤٠هـ في خلافة أبي جعفر المنصور. (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج٥/ ص١٩٢، ١٩٣)، وهي اليوم مدينة تركيَّة تقع شمال غرب ديار بكر وشرقًا من هضبة الأناضول وعاصمتها محافظة ملطية. (يحيى شامي: موسوعة المدن: ص٣٢٣؛ موقع الموسوعة الحرَّة).

(٢) وليم الصوري: الحروب الصليبيَّة: ج٣/ ص٤٣٧؛ رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبيَّة: ج٢/ ص٤٠٩؛ عمران: السِّياسة الشرقيَّة: ص٢٥٥؛ طقوش: تاريخ سلاجقة الروم: ص١٧٠.

(٣) أَبْلُسْتَيْن: مدينة مشهورة ببلاد الروم، قريبة من أبسس مدينة أصحاب الكهف. (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج١/ ص٧٥) وهي حاليًا مدينة تركيَّة تقع في محافظة مرعش (موقع الموسوعة الحرَّة).

(٤) عمران: المرجع نفسه: ص٢٦٤؛ طقوش: المرجع نفسه: ص١٧٠.

(٥) رانسيمان: المرجع نفسه: ج٢/ ص٤١٠؛ عمران: المرجع نفسه: ص٢٦٤؛ طقوش: المرجع نفسه: ص١٧١.

يرى البعض[١] : أنَّ الذي دفع السلطان قلج أرسلان لطلب الصلح مع البيزنطيِّين وإلحاحه عليه هو عدمُ الاستقرار بينه وبين ياغي أرسلان ونور الدين رغم عقده مُعاهدةَ صلحٍ مع كليهما، وأنه كان يخشى من تجدُّد القتال معهما مرَّةً أخرى.

على أيَّة حال، وأمام إصرار السلطان قلج أرسلان على طلب الصلح وافق الإمبراطور مانويل كومنين، لكنه تشدَّد في شروط الصلح[٢] التي جاءت كالتالي[٣]:

- إعادة جميع المدن البيزنطيَّة التي استولى عليها السَّلاجقة مؤخرًا.

- احترام الحدود الفاصلة بين الدولتين.

- تخصيص فرقة عسكريَّة سلجوقيَّة تعمل على منع التعدِّيات والغارات على مناطق حدود الدولتين.

- إمداد الإمبراطور البيزنطيِّ بفرقةٍ عسكريَّةٍ سلجوقيَّةٍ لمُساعدته في حروبه مع أعدائه متى اقتضت الحاجةُ لذلك.

- يقوم السلطان قلج أرسلان بزيارة الإمبراطور في القسطنطينيَّة كلَّ عام[٤].

بهذه المُعاهدة نجح الإمبراطور البيزنطيُّ - ولو مؤقتًا - في وقف التوسُّع السلجوقيِّ في آسيا الصغرى على حساب أملاك الدولة البيزنطيَّة[٥].

وبعد عقد هذه المُعاهدة، وفي العام التالي (٥٥٨هـ/١١٦٢م)، قام السلطان قلج

---

(١) عمران: المرجع نفسه: ص٢٦٤.

(٢) طقوش: المرجع نفسه: ص١٧١.

(٣) رانسيمان: المرجع نفسه: ج٢/ ص٤٠٩، ٤١٠؛ أسد رستم: الروم: ج٢/ ص١٥٧؛ عمران: المرجع نفسه: ص٢٦٥؛ طقوش: المرجع نفسه: ص١٧٢.

(٤) عمران: السِّياسة الشرقيَّة: ص٢٦٥؛ طقوش: تاريخ سلاجقة الروم: ص١٧٢.

(٥) عمران: المرجع نفسه: ص٢٦٥؛ طقوش: المرجع نفسه: ص١٧٢.

أرسلان بزيارة القسطنطينيَّة، فاستقبله الإمبراطور بحفاوةٍ بالغةٍ، وغمره بالهدايا[١].

ويرى البعض[٢] أنَّ الذي دفع السلطان قلج أرسلان للقيام بهذه الزيارة، إضافةً إلى تنفيذ بنود الاتِّفاق، الوقوف عن قربٍ على ما يجري في القسطنطينيَّة من مُؤامرات تُحاك ضدَّه من قِبَل ياغي أرسلان وأخيه شاهنشاه، والتي كانت تهدف إلى خلعه عن العرش وإحلال أخيه مكانه[٣].

استمرَّت زيارة السلطان للإمبراطور البيزنطيِّ في القسطنطينيَّة ثمانين يومًا[٤] تباحثا خلالها حول إمكانيَّة إعادة النَّظر في شروط المُعاهدة، وإجراء بعض التعديلات عليها، وقد وافق الطرفان على ذلك، وجاءت هذه التعديلات كالآتي[٥]:

- اعتراف السلطان بأنَّ أعداء الإمبراطور أعداءٌ له أيضًا.
- تشكيل فرقٍ عسكريَّةٍ تقوم بحماية الحدود من غزوات القبائل التركمانيَّة.
- إعادة المدن التي كانت سابقًا جزءًا من أملاك الدولة البيزنطيَّة.
- لا يُبرم السلطان أيَّ مُعاهدةٍ أو صلحٍ مع طرفٍ آخر إلا بعد مُوافقة الإمبراطور.

يبدو لي من هذه الشروط أنَّ دولة سلاجقة الروم في ذلك الوقت قد بلغت مبلغًا كبيرًا من الضَّعْف أجبرت السلطان على قبول هذه الشروط المُذِلَّة، إضافةً إلى خوف السلطان من نوايا الإمبراطور البيزنطيِّ، فقد يُقْدِمُ في أيِّ وقتٍ على التعاوُن مع أعدائه، ويعمل على عزله وإحلال أخيه شاهنشاه المُقيم في القسطنطينيَّة مكانه.

---

(١) رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبيَّة: ج٢/ ص٤١٠؛ أسد رستم: الروم: ج٢/ ص١٥٧؛ عمران: المرجع نفسه: ص٢٧٤؛ طقوش: المرجع نفسه: ص١٧٢.

(٢) عمران: المرجع نفسه: ص٢٧٥؛ طقوش: المرجع نفسه: ص١٧٢.

(٣) ابن العبري: تاريخ الزمان: ص١٧٥؛ رانسيمان: المرجع نفسه: ج٢/ ص٤١٠.

(٤) ابن العبري: المصدر نفسه: ص١٧٥؛ عمران: المرجع نفسه: ص٢٧٤؛ طقوش: المرجع نفسه: ص١٧٣.

(٥) عمران: المرجع نفسه: ص٢٧٦؛ طقوش: المرجع نفسه: ص١٧٣.

ويرى البعضُ أنَّ السلطان قد استفاد من هذه الزِّيارة، حيث وقف على مواطن القوَّة والضَّعف داخل الدولة البيزنطيَّة، كما اطَّلع على بعض الأسرار التي تتعلَّق باتِّصال بني دانشمند بالإمبراطور البيزنطيِّ، كما أنه أبدى استياءَهُ للمُقرَّبين إليه بعد عودته من استبقاء الإمبراطور لأخيه شاهنشاه عنده(١).

مدى استفادة الطرفين من المُعاهدة:

أولًا: استفادة السلطان قلج أرسلان.

بعد توقيع هذه المُعاهدة عمل السلطان قلج أرسلان على توطيد ملكه داخل دولته وخارجها(٢)، ويبدو أنه بتوقيع هذه المُعاهدة ضَمِنَ عدمَ مُساعدة الإمبراطور البيزنطيِّ مانويل كومنين لأخيه شاهنشاه لاستيلائه على عرش دولة سلاجقة الروم، ولذلك وجَّه جهوده للقضاء على الأخطار الخارجيَّة، ومنها الآتي:

- **القضاء على إمارة بني دانشمند في سيواس.**

في عام (٥٥٨هـ/١١٦٢م) وبعد عودة السلطان قلج أرسلان الثاني من القسطنطينيَّة، عَرَض ياغي أرسلان على السلطان إقامةَ هدنةٍ بينهما، فقَبِلَ السلطان هذا العرض، وظلَّت العلاقاتُ بينهما هادئةً حتى عام (٥٦٠هـ/١١٦٤م)، فتجدَّدت الحرب بينهما مرَّةً أخرى، وكان السببُ في اندلاع هذه الحرب أنَّ السلطان قلج أرسلان كان قد عَزَمَ على الزواج من ابنة حاكم أرزن الروم(٣)، وأثناء انتقالها إلى

---

(١) طقوش: تاريخ سلاجقة الروم: ص١٧٣.

(٢) أسد رستم: الروم: ج٢/ ص١٥٧؛ أحمد توني: الحياة السِّياسيَّة: ص١٨٩.

(٣) هو الأمير عز الدين سلدق بن علي (٥٤٠ـ٥٧٠هـ/١١٤٥ـ ١١٧٤م) أحد أمراء بني سلدق (صلتق) الذين أقاموا لهم إمارة في الأناضول بعد موقعة ملاذكرد، وأسَّسها الأمير أبو القاسم علي بن سلدق أحد القادة العسكريِّين للسلطان ألب أرسلان، وتوارثها أبناؤُه مِن بعده، وقامت هذه الإمارةُ في أرزن الروم (أرضروم) خلال الفترة (٤٦٤ـ٥٩٨هـ/ ١٠٧١ـ١٢٠١م)، حيث ←←←

قونية عاصمة سلاجقة الروم قام الأميرُ ياغي أرسلان بمُهاجمة الموكب وأخذ الزوجة، وأراد أنْ يُزوِّجَها لابن أخيه، فأمرها بأنْ ترتدَّ عن الإسلام حتى ينفسخَ عقدُ زواجها من السلطان قلج أرسلان[1].

كانت هذه الحادثةُ سببًا في توتُّر العلاقات بين الطرفين، ممَّا أدَّى إلى اندلاع الحرب بينهما، وكانت الغلبة في البداية للأمير ياغي أرسلان، حيث انتصر على السلطان في بعض المعارك، ممَّا جعل الأخير يلجأ إلى الإمبراطور البيزنطيِّ مانويل كومنين طالبًا منه المُساعدة، فأرسل إليه الإمبراطور مددًا عسكريًّا، ممَّا جعل السلطان يخرجُ بجيشه مُتَّجِهًا إلى سيواس، ولمَّا اقترب منها كان ياغي أرسلان قد توفِّي عام (٥٦٠هـ/١١٦٤م)[2]، وتولَّى الحكم بعدَه ابنُ أخيه، فصالحه السلطان؛ إلا أنَّ الظروف التي أحاطت بإمارة بني دانشمند بعد وفاة ياغي أرسلان، والصِّراع الذي وقع بينهم للاستيلاء على الحكم، جعل السلطان قلج أرسلان يعمل على استغلال هذه الظروف ويُفكِّر في القضاء على هذه الإمارة، إضافةً إلى التوسُّع داخل الأناضول

←←←

سقطت على يد سُلطان سلاجقة الروم ركن الدين سليمان بن قلج أرسلان (٥٩٣-٦٠٠هـ/ ١١٩٦-١٢٠٣م). (ابن الأثير: الكامل: ج١٠/ ص١٨٠، المحيميد: الدانشمنديون: ص١٤٥-١٤٨)، وأرزن الروم: بلدة مشهورة من بلاد أرمينية، وهي قديمة البناء. (ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج١/ ص١٥٠؛ القزويني: آثار البلاد: ص٤٩٤) وهي اليوم مدينة تركيَّة تقع في الشرق وتُسمَّى أرضُرُوم أو أرض الروم، وهي عاصمة مُحافظة أرضروم. (يحيى شامي: موسوعة المدن: ص٣٠٤).

(١) ابن الأثير: الكامل: ج٩/ ص٣٢٠؛ طقوش: تاريخ سلاجقة الروم: ص١٧٤؛ المحيميد: الدانشمنديون: ص١٢٢.

(٢) ابن الأثير: نفسه: ج٩/ ص٣٢٠؛ ابن العبري: تاريخ الزمان: ص١٧٦، ١٧٧؛ طقوش: المرجع نفسه: ص١٧٤.

على حساب بني دانشمند[١].

وخلال الفترة (٥٦١-٥٧٠هـ/١١٦٥-١١٧٤م) نجح السلطان قلج أرسلان في السيطرة على سيواس وإسقاط إمارة بني دانشمند، كما سيطر على بعض المدن التي كانت تابعةً لهم داخل الأناضول[٢].

كما خلصه الموت من نفوذ نور الدين محمود عام (٥٦٩هـ/١١٧٣م)[٣]، وبذلك نجح قلج أرسلان في توطيد نفوذه على أقاليمه الشرقيَّة، ويبدو أنَّ السلطان قلج أرسلان بعد أنْ تمكَّن من بسط نفوذه داخل الأناضول اعتزم القضاءَ على النفوذ البيزنطيِّ، فعقد صلحًا مع الإمبراطور الألماني فردريك بربروسا العدو اللدود للإمبراطور البيزنطيِّ مانويل كومنين[٤].

ويرى البعض: أنَّ طلب قلج أرسلان توقيع مُعاهدة سلامٍ بينه وبين الإمبراطور البيزنطيِّ مانويل كومنين لم تكنْ إلا لدَرْء الأخطار الخارجيَّة عن بلاده، وتوطيد نفوذه في آسيا الصغرى، ولم تكنْ زيارتُه للقسطنطينيَّة إلا للوقوف على استعدادات القوات البيزنطيَّة، ومدى مُقاومتها أثناء الحرب، إضافةً إلى أنَّ عَقْدَه اتِّفاقيَّة سلام مع الإمبراطور الألمانيِّ فردريك بربروسا لم تكنْ إلا للتأثير على معنويَّات مانويل كومنين،

---

(١) أسد رستم: الروم: ج٢ ص١٥٧؛ طقوش: المرجع نفسه: ص١٧٥؛ المحيميد: المرجع نفسه: ص١٢٢.

(٢) ابن العبري: تاريخ الزمان: ص١٩٠؛ أسد رستم: الروم: ج٢/ ص١٥٧؛ طقوش: المرجع نفسه: ص١٧٥؛ المحيميد: المرجع نفسه: ص١٢٢ـ١٢٥.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم: ج١٨/ ص٢٠٨؛ ابن الأثير: الكامل: ج٩/ ص٢٩٣؛ أحمد توني: الحياة السِّياسيَّة: ص١٨٩.

(٤) أحمد توني: المرجع نفسه: ص١٨٩.

ولذا يمكن القولُ: إنَّ معركة ميريوكيفالون[١] (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م) لم تكنْ إلا نتيجةً مُباشرةً لهذه السِّياسة التي انتهجها قلج أرسلان[٢].

وأنا أختلف مع الباحث فيما ذكره؛ حيث إنَّ السلطان طلب توقيع هذه المُعاهدة لكثرة الأخطار المُحيطة به آنذاك والمُتمثِّلة في صراعه مع أخيه شاهنشاه على الحكم، إضافةً إلى بعض الانتصارات التي حقَّقها مانويل كومنين عليه سابقًا، وصراعه مع ياغي أرسلان ونور الدين محمود، وأنَّ السلطان قلج أرسلان أراد بهذه المُعاهدة تجنُّبَ الصِّراع مع الإمبراطور البيزنطيِّ مانويل كومنين من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى عدم مُساعدة أخيه المُقيم في القسطنطينيَّة للاستيلاء على الحكم، فلم يكنْ يفكِّر في القضاء على النفوذ البيزنطيِّ في آسيا الصغرى آنذاك، بل إنَّ الأقدار هي التي خدمته بعد ذلك بوفاة ياغي أرسلان عام (٥٦٠هـ/١١٦٤م) وانقسام بني دانشمند والصِّراع بينهم على الحكم، ثم وفاة نور الدين محمود عام (٥٦٩هـ/١١٧٣م)، ثم استيلاء قلج أرسلان على سيواس ومُمتلكات بني دانشمند عام (٥٧٠هـ/١١٧٤م). كلُّ هذه الظروف هي مَن ساعدت قلج أرسلان وجَعَلته يُعيد تفكيرَه ويعمل من أجل القضاء على النفوذ البيزنطيِّ في آسيا الصغرى.

---

(١) معركة ميريوكيفالون: وقعت هذه المعركة عام (٥٧٢هـ/١١٧٦م) بين سلاجقة الروم بقيادة السلطان قلج أرسلان الثاني والدولة البيزنطيَّة بقيادة مانويل كومنين، وانتهت بانتصارٍ حاسمٍ للسَّلاجقة، وتعدُّ من المعارك المهمَّة في التاريخ الإسلاميِّ والتي قرَّرت مصير آسيا الصغرى والشرق بصفةٍ عامَّة، وأظهرت ضعف الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة، وقضت على أحلامهم بِطَرْد الأتراك من آسيا الصغرى، وسُمِّيت بهذا الاسم نسبةً إلى المكان التي وقعت عندها، وهو حصنٌ بيزنطيٌّ مهجورٌ يُسمَّى ميريوكيفالون Myriocephalun (طقوش: تاريخ سلاجقة الروم: ص١٧٩ـ١٩١).

(٢) أحمد توني: الحياة السِّياسيَّة: ص١٩٠.

ثانياً: استفادة الإمبراطور البيزنطيِّ مانويل كومنين.

أمَّا بالنِّسبة لاستفادة الإمبراطور البيزنطيِّ مانويل كومنين من عقد هذه المُعاهدة، فإنه بعد توقيعها عمل على تحسين علاقاته ببعض أعدائه الخارجيِّين[١]، غير أنه لم ينجحْ في تجنُّب الصِّراع الذي كان قائمًا بينه وبين الإمبراطور الألمانيِّ فردريك بربروسا (٥٤٧-٥٨٦هـ/١١٥٢- ١١٩٠م) الذي اعتَبر نفسه الإمبراطورَ الرومانيَّ المُقدَّس، كما لم يعترفْ بمانويل كومنين إلا كإمبراطور للقسطنطينيَّة فقط[٢]. ولذلك دفع مانويل كومنين نتيجةَ هذه السِّياسة التي انتهجها بعد توقيعه مُعاهدة السَّلام مع قلج أرسلان عام (٥٥٧هـ/١١٦١م)، كما لم ينظر إلى السِّياسة التي انتهجها قلج أرسلان على أنها مُوجَّهةٌ ضدَّه، ولعلَّ السبب في ذلك عدمُ توقُّعه بتطوُّر الأحداث ومُساعدة الأقدار لقلج أرسلان بوفاة اثنين من ألدِّ أعدائه، وهما: ياغي أرسلان ثم نور الدين محمود.

ولذا يُمكن القول: إنَّ استفادة قلج أرسلان من توقيع المُعاهدة كانت أكثرَ من استفادة مانويل كومنين بنسبةٍ كبيرةٍ تُمثِّل من وجهة نظري ٨٠% مُقابل ٢٠% للدولة البيزنطيَّة.

---

(١) المجر والصرب (أحمد توني: الحياة السِّياسيَّة: ص١٩٠).

(٢) إسحاق عبيد: روما وبيزنطة: ص٢٤٨، ٢٥٥، ٢٧٦؛ أحمد توني: الحياة السِّياسيَّة: ص١٩٠.

خاتمة البحث

بعد الانتهاء من هذه الدِّراسة المعنونة [مُعاهدات الصلح بين دولة سلاجقة الروم والدولة البيزنطيَّة خلال الفترة (٤٧٤-٥٧٢هـ/١٠٨١-١١٧٦م)] توصَّل الباحث إلى بعض النتائج، منها ما يأتي:

- جواز مشروعيَّة عقد مُعاهدات الصلح والسَّلام مع غير المُسلمين إذا رأى الحاكمُ مصلحةً في ذلك.

- ارتَبطت سياسة الوفاق وتقارُب وجهات النَّظر بين دولة سلاجقة الروم والدولة البيزنطيَّة بالأخطار الخارجيَّة التي باتت تُشكِّل خطرًا على إحدى الدولتين أو كلتيهما.

- طلب عقد مُعاهداتٍ من جانب بعض الدول لا يعني بالضَّرورة أنها في حالة ضعف، ولكن ربما تكون حلًّا مُؤقتًا لتجنُّب خطرٍ أكبرَ، أو التفرُّغ للقضاء على بعض المشاكل الداخليَّة.

- كانت الدولة البيزنطيَّة في كثير من الأحيان هي من لديها الرغبةُ في طلب عقد مُعاهدة صلح مع دولة سلاجقة الروم؛ بسبب بعض الأخطار التي أحدقت بها.

- تأرجحت استفادةُ الدولتين من عقد هذه المُعاهدات، فأحيانًا كانت الدولة البيزنطيَّة أكثرَ استفادةً من دولة سلاجقة الروم من خلال عقد بعض المُعاهدات، وأحيانًا أخرى كانت دولة سلاجقة الروم هي الأكثر استفادة، لكن كانت نسبةُ استفادة دولة سلاجقة الروم من كلِّ المُعاهدات خلال فترة البحث أكثرَ من الدولة البيزنطيَّة، ومن وجهة نظري وَصَلت هذه الاستفادة بالنِّسبة للسلاجقة إلى ٧٠% مُقابل ٣٠% للدولة البيزنطيَّة، والمُعاهدة الأخيرة التي عُقدت عام (٥٥٧هـ/١١٦١م) توضِّح ذلك، حيث عملت دولة سلاجقة الروم بعد توقيعها على توطيد مركزها في آسيا الصغرى، ثم انتصرت على البيزنطيِّين في معركة ميريوكيفالون عام (٥٧٢هـ/١١٧٦م)، وهي المعركة التي حدَّدت مصير بقاء سلاجقة الروم في آسيا الصغرى وبلاد الأناضول.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر:

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمَّد بن محمَّد (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م):

١- الكامل في التاريخ: تحقيق/ عمر عبد السَّلام تدمري، دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

- الأزدي أبو بكر محمَّد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ/٩٣٣م):

٢- جمهرة اللغة: تحقيق/ رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

- الإصطخري أبو اسحاق إبراهيم بن محمَّد الفارسي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م):

٣- المسالك والممالك: دار صادر – بيروت – لبنان، ٢٠٠٤م.

- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمَّد (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م):

٤- المفردات في غريب القرآن: تحقيق/ صفوان عدنان الداودي، دار القلم – دمشق، الدار الشاميَّة – بيروت.

- البخاري أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل البخاري الجعفي (٢٥٦هـ/٨٦٩م):

٥- الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري): تحقيق/ مصطفى ديب البغا – دار ابن كثير، دار اليمامة – دمشق، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

- ابن بطوطة أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله بن محمَّد اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م):

٦- رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار): أكاديميَّة المملكة المغربيَّة – الرباط، د. ط، ١٤١٧هـ.

- البنداري عماد الدين محمَّد بن محمَّد الأصبهاني (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م):

٧- تاريخ دولة آل سلجوق: دار الكتب العلميَّة – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

- ابن تغري بردي، أبو المحاسن، جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م):

٨- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: وزارة الثقافة – دار الكتب– مصر، د. ط.

- الجرجاني علي بن محمَّد بن علي (ت٨١٦هـ/١٤١٣م):

٩- التعريفات: تحقيق/ إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

- الجصاص أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي (ت٣٧٠هـ/٩٨٠م):

١٠- أحكام القرآن: تحقيق/ محمَّد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان، ١٤٠٥هـ.

- ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ):

١١- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: تحقيق/ محمَّد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

- الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ/١٠٠٢م):

١٢- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيَّة: تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- ابن حبان أبو حاتم محمَّد بن حبان التميمي (ت٣٥٤هـ/٩٦٥م):

١٣- السيرة النبويَّة وأخبار الخلفاء: صحّحه / السيد عزيز وآخرون، الكتب الثقافيَّة – بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ.

- الحسيني، أبو الحسن علي بن ناصر (ت بعد٦٢٢هـ):

١٤- أخبار الدول السلجوقيَّة: نشريات فنجاب (البنجاب) لاهور، ١٩٣٣م.

- الحصني، أبو بكر بن محمَّد بن عبد المؤمن بن حريز بن معلى (٨٢٩هـ/١٤٢٥م):

١٥- كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار: تحقيق/ علي عبد الحميد، محمَّد وهبي سليمان، دار الخير - دمشق - الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

- ابن حوقل، أبو القاسم محمَّد بن حوقل البغدادي الموصلي (ت بعد ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م):

١٦- صورة الأرض: دار صادر - أفست ليدن - بيروت، ١٩٣٨م.

- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف القرطبي الأندلسي (ت٤٦٩هـ/١٠٧٦م):

١٧- المقتبس في أخبار بلد الأندلس: تحقيق/ عبد الرحمن الحجي، دار الثقافة - بيروت - لبنان، ١٩٦٥م.

- ابن خلِّكان، شمس الدين أحمد بن محمَّد البرمكي الإربلي (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م):

١٨- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر - بيروت - لبنان، د. ط.

- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد قَايْماز (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م):

١٩- العبر في خبر من غبر: تحقيق/ محمَّد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلميَّة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- ابن رشد، أبو الوليد محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن أحمد (ت ٥٩٥هـ/١١٩٨م):

٢٠- بداية المجتهد ونهاية المقتصد: دار الحديث - القاهرة - ب ط، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

- الرصاع، محمَّد بن قاسم الأنصاري، أبو عبد الله المالكي (ت ٨٩٤هـ/١٤٨٩م):

٢١- الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية (المعروف بشرح حدود ابن عرفة): تحقيق/ محمَّد أبو الأجفان، الطاهر المعموري، دار الغرب – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

- الرعيني، شمس الدين أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد المالكي (ت٩٥٤هـ/١٥٤٧م):

٢٢- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل: دار الفكر – بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

- الرملي، شمس الدين محمَّد بن أبي العباس (ت١٠٠٤هـ/١٥٩٥م):

٢٣- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج: دار الفكر – بيروت – لبنان، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- السمرقندي، أبو بكر علاء الدين محمَّد بن أحمد (ت٥٣٩هـ/١١٤٥م):

٢٤- تحفة الفقهاء: دار الكتب العلميَّة – بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م):

٢٥- المخصص: تحقيق/ خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

- الشافعي، أبو عبد الله محمَّد بن إدريس (ت٢٠٤هـ/٨١٩م):

٢٦- الأم: دار الفكر – بيروت – الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- الشربيني، الخطيب شمس الدين محمَّد بن محمَّد (ت ٩٧٧هـ/١٥٦٩م):

٢٧- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: تحقيق/ علي محمَّد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلميَّة - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

- الطبري، أبو جعفر محمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت٣١٠هـ/٩٢٢م):

٢٨- جامع البيان في تأويل القرآن: تحقيق/ أحمد محمَّد شاكر، مُؤسَّسة الرسالة - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

- ابن عبد الحق، صفيّ الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م):

٢٩- مراصد الاطِّلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

- ابن العبري، أبو الفرج جمال الدين غريغوريوس بن توما الملطي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م):

٣٠- تاريخ الزمان: ترجمة/ الأب إسحاق رملة، دار المشرق - بيروت - لبنان، ١٩٩١م.

- ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله العقيلي (ت٦٦٠هـ/١٢٦١م):

٣١- زبدة الحلب في تاريخ حلب: وضع حواشيه/ خليل المنصور، دار الكتب العلميَّة - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

- العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م):

٣٢- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: المجمع الثقافي - أبو ظبي - الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

- العيني، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م):

٣٣- البناية شرح الهداية: تحقيق/ أيمن صالح شعبان، دار الكتب العلميَّة – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٣٤- عِقْد الجُمَان في تاريخ أهل الزمان – عصر سلاطين المماليك [٦٤٨-٧١٢هـ]: تحقيق/ محمَّد أمين، مطبعة دار الكتب والوثائق القوميَّة – القاهرة، ١٤٣١هـ /٢٠١٠م.

- الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين (ت٣٥٠هـ/٩٦١م):

٣٥- معجم ديوان الأدب: تحقيق/ أحمد مختار عمر، مراجعة/ إبراهيم أنيس، مُؤسَّسة دار الشعب – القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمَّد بن عمر (ت٧٣٢هـ):

٣٦- تقويم البلدان: دار صادر – بيروت، ١٨٥٠م.

- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو (ت ١٧٠هـ/٧٨٦م):

٣٧- كتاب العين: تحقيق/عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميَّة – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

- الفيومي، أحمد بن محمَّد بن علي (ت نحو ٧٧٠ هـ/١٣٦٨م):

٣٨- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: المكتبة العلميَّة – بيروت – لبنان، د. ط.

- ابن قدامة، أبو محمَّد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمَّد الحنبلي (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م):

٣٩- المغني: تحقيق/ عبد الله عبد المحسن التركي، عبد الفتاح محمَّد الحلو، دار عالم الكتاب – الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

- القرطبي، شمس الدين أبو عبد اللَّه محمَّد الأنصاري الخزرجي (ت٦٧١هـ/١٢٧٢م):

٤٠- الجامع لأحكام القرآن: تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصريَّة – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

- القزويني، زكريا بن محمَّد بن محمود (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م):

٤١- آثار البلاد وأخبار العباد: دار صادر – بيروت – لبنان.

- ابن القلانسي، أبو يعلى التميمي حمزة بن أسد بن علي بن محمَّد (ت٥٥٥هـ/١١٦٠م):

٤٢- تاريخ دمشق: تحقيق/ سهيل زكار، دار حسان – دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- ابن القوطية، أبو بكر محمَّد بن عمر القرطبي (٣٦٧هـ/٩٧٧م):

٤٣- تاريخ افتتاح الأندلس: تحقيق/ عبد الله أنيس الطباع، مُؤسَّسة المعارف – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

- ابن القيم، شمس الدين أبو عبد الله محمَّد بن أبي بكر الدمشقي (٧٥١هـ/١٣٥٠م):

٤٤- زاد المعاد في هدي خير العباد: تحقيق/ شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، مُؤسَّسة الرسالة – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

- كومنينا، أنا ألكسيوس الأول كومنين (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م).

٤٥- ألكسياد: ترجمة/ حسن حبشي، المركز القومي للترجمة – القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م.

- متى الرهاوي (ت بعد عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م):

٤٦- تاريخ متى الرهاوي: ترجمة/ محمود الرويضي، عبد الرحيم مصطفى، مُؤسَّسة حمادة للدِّراسات – الأردن، ٢٠٠٩م.

- مجهول (ق٧هـ):

٤٧- أخبار سلاجقة الروم: ترجمة وتحقيق/ محمَّد السعيد جمال الدين، المركز

القومي للترجمة – القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.

- ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمَّد بن مكرم بن علي (ت٧١١هـ/١٣١١م):

٤٨- لسان العرب: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.

- المواق، محمَّد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري الغرناطي المالكي (ت٨٩٧هـ/١٤٩٢م):

٤٩- التاج والإكليل لمختصر خليل: دار الكتب العلميَّة – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٤م.

- الموصلي، عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي الحنفي (ت٦٨٣هـ/١٢٨٤م):

٥٠- الاختيار لتعليل المختار: مطبعة الحلبي – القاهرة، ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م.

- ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت ٢١٣هـ/٨٢٨م):

٥١- السيرة النبويَّة: تحقيق/ مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

- ابن واصل، أبو عبد الله التميمي الحموي محمَّد بن سالم (ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م):

٥٢- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب: تحقيق/ جمال الدين الشيال وآخرون، دار الكتب والوثائق القوميَّة – المطبعة الأميريَّة – القاهرة، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.

- الواقدي، أبو عبد الله محمَّد بن عمر بن واقد السهمي (ت٢٠٧هـ/٨٢٢م):

٥٣- المغازي: تحقيق/ مارسدن جونس، دار الأعلمي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

- وليم الصوري (ت٥٨٠هـ/١١٨٤م):

٥٤- الحروب الصليبيَّة: ترجمة/ حسن حبشي، الهيئة المصريَّة للكتاب – القاهرة، ١٩٩٢م.

- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حبتة الأنصاري (ت١٨٢هـ/٧٩٨م):

٥٥- الخراج: المكتبة الأزهريَّة للتراث – مصر، تحقيق/ طه عبد الرؤوف سعد، وسعد محمَّد، د. ط، د. ت.

- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م):

٥٦- معجم البلدان: دار صادر- بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

ثانياً: المراجع العربيَّة والمترجمة.

- أبو سعيد المصري:

٥٧- الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلاميِّ: المكتبة الشاملة: بدون بيانات.

- أحمد زكي بك (ت١٣٥٣هـ/١٩٣٤م):

٥٨- قاموس الجغرافية القديمة: المطبعة الأميريَّة – مصر، ١٣١٧هـ/١٨٩٩م.

- أحمد مختار العبادي (ت١٤٣٧هـ/٢٠١٦م):

٥٩- في تاريخ الأندلس والمغرب: مُؤسَّسة الثقافة الجامعيَّة – الإسكندريَّة، بدون طبعة.

- أحمد معتوق الزائدي:

٦٠- أحكام الصلح وأثره في فضِّ النِّزاعات في الشريعة الإسلاميَّة والقانون الوضعي: بحثٌ منشورٌ بمجلة العلوم الإنسانيَّة – كلية الآداب – مدينة الخمس – جامعة المرقب – ليبيا، العدد ١٣، عام ٢٠١٦م.

- إسحاق عبيد:

٦١- روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين ٨٦٩هـ/ ١٢٠٤م: دار المعارف – مصر، ١٩٧٠م.

- أسد رستم (ت١٣٨٥هـ/١٩٦٥م):

٦٢- الروم في سياستهم، وحضارتهم، ودينهم، وثقافتهم وصلاتهم بالعرب: دار المكشوف – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٥٦م.

- بارتولد، فاسيلي فلاديميروفتش (ت١٣٤٩هـ/١٩٣٠م):

٦٣- تاريخ الترك في آسيا الوسطى: ترجمة/ أحمد السعيد سليمان: الهيئة المصريَّة للكتاب، ١٩٩٦م.

- جوزيف نسيم (ت١٤١٤هـ/١٩٩٣م):

٦٤- تاريخ الدولة البيزنطيَّة: دار المعرفة الجامعيَّة- الإسكندريَّة – مصر، ٢٠٠٥م.

- خميس عمر المصري:

٦٥- المُعاهدات السلميَّة في ضوء الواقع المُعاصر (دراسة فقهيَّة مُقارنة): رسالة ماجستير- كليَّة الشريعة والقانون – الجامعة الإسلاميَّة – غزَّة، ١٤١٦هـ/ ٢٠١٤م.

- الرحيباني مصطفى بن سعد بن عبده الحنبلي (ت١٢٤٣هـ/١٨٢٧م):

٦٦- مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى: المكتب الإسلامي – دمشق – سوريا، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

- سامر بايروش أحمدي:

٦٧- انتشار الإسلام في كوسوفا: مركز البحوث والدِّراسات بوزارة الأوقاف والشئون الإسلاميَّة – الدوحة – قطر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/٢٠٠٨م.

- ستيفن رانسيمان (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م):

٦٨- تاريخ الحملات الصليبيَّة: ترجمة/ نور الدين خليل، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

٦٩- الحضارة البيزنطيَّة: ترجمة/ عبد العزيز جاويد، الهيئة المصريَّة للكتاب – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.

- سعيد عبد الفتاح عاشور (ت١٤٣١هـ/٢٠٠٩م):

٧٠- أوربا العصور الوسطى: مكتبة الأنجلو المصريَّة، الطبعة التاسعة، ١٩٨٣م.

٧١- الحركة الصليبيَّة: مكتبة الأنجلو المصريَّة – القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

٧٢- تاريخ أوربا في العصور الوسطى: دار النهضة العربيَّة– بيروت– لبنان، ١٩٧٦م.

- السيد الباز العريني (ت١٣٨٩هـ/١٩٦٩م):

٧٣- الدولة البيزنطيَّة (٣٢٣-١٠٨١م) دار النهضة العربيَّة – بيروت – لبنان، بدون طبعة.

- طه خضر عبيد:

٧٤- تاريخ الدولة البيزنطيَّة (٣٢٤-١٤٥٣م): دار الفكر – عمَّان – الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م.

- ابن عابدين، محمَّد أمين، الشهير بابن عابدين (ت١٢٥٢هـ/١٨٣٦م):

٧٥- حاشية رد المحتار، على الدر المختار: شرح تنوير الأبصار: مطبعة مصطفى البابي الحلبي – بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

- عادل هلال:

٧٦- العلاقات بين المغول وأوربا وأثرها على العالم الإسلامي: عين للدِّراسات والبحوث – مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

- عبد الحكيم العفيفي:

٧٧- موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلاميَّة: دار أوراق شرقيَّة – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

- عبد الرزاق السنهوري (١٣٩١هـ/١٩٧١م):

٧٨- الوسيط في شرح القانون المدني: دار إحياء التراث- بيروت- لبنان، بدون طبعة.

- علي بن صالح المحيميد:

٧٩- الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الأناضول: مُؤسَّسة شباب الجامعة - الإسكندريَّة - مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

- علي رضينة:

٨٠- أحكام الصلح في الفقه الإسلاميِّ (دراسة فقهيَّة مُقارنة): رسالة ماجستير - كليَّة الشريعة والقانون - جامعة أم درمان الإسلاميَّة - السودان، ١٩٩٧م.

- كلود كاهن (ت١٤١٢هـ/١٩٩١م):

٨١- الشرق والغرب زمن الحروب الصليبيَّة: ترجمة/ أحمد الشيخ، دار سينا - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

- كي لسترنج (١٣٥٣هـ/١٩٣٤م):

٨٢- بلدان الخلافة الشرقيَّة: ترجمة/ بشير فرنسيس، كوركيس عواد، مُؤسَّسة الرسالة - بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- محمَّد سهيل طقوش:

٨٣- تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى (٤٧٠-٧٠٤هـ/١٠٧٧-١٣٠٤م): دار النفائس - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

- محمَّد صالح الزيباري:

٨٤- سلاجقة الروم في آسيا الصغرى: دار دجلة- بغداد- العراق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م.

- **محمود سعيد عمران (ت١٤٣٦هـ/٢٠١٥):**

٨٥- السِّياسة الشرقيَّة للإمبراطوريَّة البيزنطيَّة في عهد الإمبراطور مانويل الأول ١١٤٣- ١١٨٠م: دار المعارف – القاهرة، ١٩٨٥م.

٨٦- معالم تاريخ الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة: دار المعرفة الجامعيَّة - الإسكندريَّة – مصر، ٢٠٠٠م.

- **نورمان بينز (ت١٣٨١هـ/١٩٦١م):**

٨٧- الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة: ترجمة/ حسين مؤنس، محمود زايد، لجنة التأليف والترجمة – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٠م.

- **يحيى شامي:**

٨٨- موسوعة المُدن العربيَّة والإسلاميَّة: دار الفكر العربي - بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩